



يوليه ١٩٢٨ سماع الحكمة يجذبنا إليك العدد ١١ مجلد ٢

حرية الفكر

١ - تعريفها - ٢ - حرية الفكر والسلطة الحكومية - ٣ - هل للسلطة التشريعية أن تتدخل في حرية الفكر؟ - ٤ - كيف يجب أن نفهم حرية الفكر؟ - ٥ - النتيجة

*
* *

— ١ —

ليس لنا أن نحدد حرية الفكر (١) بأكثر مما حددها به الاستاذ « الفرد وايم بن » - في كتابه « تاريخ حرية الفكر في إنجلترا خلال القرن التاسع عشر » . فإن التحديد الذي وضعه هذا المؤرخ لا يزال حتى اليوم العمدة عند المشتغلين بفلسفة العلوم الانسانية قال :

« إذا كان معنى الكلمات يستمد دائماً من جهة اشتقاقها ، فإن اصطلاح « راشيونالزم » Rationalism يمكن أن يحدد بأنه الاسلوب أو المذهب الذي يتبعه أولئك الذين يعمدون دائماً الى العقل ليكون المنظم الأول لمعتقداتهم

(١) نقصد بحرية الفكر هنا ما يصرف عليه الانجائز كلمة Rationalism وأفضل تعريب هذا الاصطلاح « الاسلوب العقلي » وأصحابه « العقليون » أي الذين يحكمون العقل دون غيره من الصفات والمواهب الانسانية .

وأعمالهم . الذين يحملون أنفسهم على أن يفكروا بأسلوب ويشككوا بتعبيرات لها أكبر أصرة وأقرب علاقة بمحسوسات عرفت مفصلاتها ودقائقها . الذين لا يشبتون شيئاً مادام مخالفاً لما صح عندهم من الحقائق المقررة ، ولا يأنفون من قبول النتائج المنطقية التي تقتضيها الحقائق الثابتة ، مهما دأب في هذه النتائج من مكره ، ومهما كان فيها من بعد عما كانوا يعتقدون به من قبل . الذين يرغبون رغبة صادقة في أن لا يأتوا من فعل ، ما لم يكن له مبرر من غاية محددة يعونها ويطبقونها عن الاتيان بأي فعل تتصارع من حوله الغايات ، ويتكبرون أي عمل اذا عارضت وسائطه تلك الاغراض التي يجهدون أنفسهم في سبيل الوصول إليها »

ولا جرم أن حرية الفكر أو الأسلوب العقلي ان حدد هذا التحديد لم نجد في الناس من يحاول أن ينقض أساسه أو يقوض بنيانه . فان الجري على هذا الأسلوب لدى الواقع جرى على ما تقتضيه أنظمة العقل الانساني وكفائاته ، وتمجيده تمجيد للعقل البشري ، الذي هو في الحقيقة أرقى ما وصل اليه تطور الكون من المنظمات العضوية وغير العضوية .

واذا جرينا في تمديد حرية الفكر — أو الأسلوب العقلي — على ما وضعه الصلابة « بن » من تعريف ، استطعنا أن ندرك من أحرار الفكر أو العقليين أنهم تلك الفئة من المفكرين الذين غدوا في أنفسهم تلك الكفاءة العقلية بمقدار هو خير ما يفصل بين الانسان وبين السوائم . تلك الكفاءة التي ان فقدتها شخص فقداناً جزئياً أستحق من بقية أفراد النوع البشري أن يرمى بالاحتقار ، وأن فقدتها فقداناً كلياً أستحق أن يكون موضع الرحمة والشفقة .

ولقد ظهر العقليون — أو أصحاب الأسلوب العقلي — الذين جروا على الطريقة التي عرفها الاستاذ « بن » في كل عصر من عصور التاريخ منذ أن ترمى من الفكر الانساني أول شعاع حاول أن يشق للبشر في ظلمات العالم المجهول طريقاً .

ظهر هؤلاء في عصور التاريخ غير المكتوب ، كما ظهر في أفراد النوع البشري رواد ذلوا طريق الارتقاء ومهدوا سبيل النشوء في كل مامست اليه الحاجة من

مُرافق الحياة . غير أن أول رواد الطريقة العقلية هم لدى الواقع أمجد ما أخرج النوع البشرى من خلاصة الافراد . لانهم باتباعهم هذه الطريقة لم يستكشفوا أشياء مادية ينتفع بها النوع في حياته العامة أو الخاصة ؛ بل استكشفوا العقل الانسانى نفسه وعرفوا له مكانته في نظام الاشياء الانسانية . ولأن كون مبالغين مطلقاً اذا قلنا بأن هؤلاء هم الذين استكشفوا الانسان ، لأن تاريخ الانسان هو تاريخ العقل بمبتكراته الفذة ووثباته الكبيرة التى وثبها نحو العوالم المجهولة التى كانت تحيط به فى حياته الاولى .

ان رواد العقل البشرى فى كل عصور التاريخ هم أجدر أفراد النوع بأن يحوزوا ذلك المجد الكبير الذى ليست مدنية هذه الايام إلا أكبر مظهر من مظاهره . وهم فوق ذلك أول من رفع فى وجه التقاليد سيف العقل القاطع وسنانه المرهف اللامع . وهم الذين أضأوا بأنوارهم فى ظلمات الجهالة فبددوها ورفعوا صوتهم فى همود الاجتماع فحركوا منه ما أثرت عليه السنين والايام وهو ساكن لا يتحرك . هم الذين ذاقوا آلام الوحدة والانفراد برأى أو مذهب رأوا أنه الحق ، وهم الذين نزلت بهم مظالم الظالمين عتواً وكبراً ، وذاقوا من الموت والجوع والفقر ما نعهده اليوم أكبر كفارة أداها النوع البشرى عما آمن به من سخافات ، وما اعتقد به من أوهام ، على طول الاجيال والدهور .

وقد انقضت السنين وتناثرت الاعوام ، بل كرت الدهور ومرت العصور ، ولا تزال الموقعة حامية الوطيس بين العقل وبين الوهم . على أن الدم الذى أراقه أول ظالم فى سبيل أن يخفت صوت العقل ، لا يزال الى اليوم يجرى فى عروق الاعقاب الذين لم يخفهم أن تجرى دماؤهم فى مجرى دمه ، وأن نزهق حياتهم كما زهقت حياته . وكذلك الذين أراقوا ذلك الدم الزكى ، لا يزال لهم من الاعقاب الذين زهقت بهم منازل الوراثة الى القرن العشرين ، من تحكم المشاعر الهوجاء فى اعمالهم ، وتفعل أذرع الفعل فى توجيههم من الحياة وجهة لا يرضي عنها العقل ولا تقرها الفضيلة فى منزلة من منازلها . هم الى اليوم أعداء العقل ، أعداء الانسان الانسانية . هم الى اليوم أنصار الخراب والدمار . هم حتى الساعة أرباب الجهالة

والعقم .. هم أشباه بنى آدم فى القوام والتمويم ، وأبداء أبناء آدم عن الانسانية كما حدد منهاها الاستاذ « بن » بأنها « العقل » الحر المبرأ عن تضحية العقل لغيره من منازع الاهواء الانسانية .

— ٢ —

إذا أردنا أن ننتقل من تعريف حرية الفكر وما كان من أثر العقليين فى ترقية النوع الانسانى ، وأردنا أن نتكلم فى حرية الفكر والسلطة الحكومية ، فانا لا نجد من بيان أبلغ من بيان الفيلسوف الكبير « برترند رسل » لدى كلامه فى « حرية الفكر ونشر الدعوة الحكومية » . لهذا نرجع اليه لننقل عنه الآتى : قال

« إن من ييدهم نظم التربية لا يعملون على نشرها . بل على العكس من ذلك يحاولون شحن الرؤوس فقط ، ولا يهتمون بتربية الفهم . مع أن للتربية مقصدين أحدهما علم مقرر هو عبارة عن القراءة والكتابة واللغات والرياضيات الى غير ذلك ، والثانيهما خلق أساليب فكرية يتمكن الناس بها من المعرفة ومن الاستنتاج لأنفسهم بطريق العقل . ويسمى المقصد الاول علماً ، والثاني فهماً . وفائدة العلم مسلم بها من الوجهتين العملية والنظرية . لأن تكوين أمة متحضرة على النمط الحديث مرهون على وجود مجموع متعلم . وأما الفهم فان السياسيين لا يسلّمون الا بفائده النظرية فقط ، لانه من غير المرغوب فيه عندهم ، أن يفكر الناس لأنفسهم . ذلك لأن حكم المفكرين واخضاعهم عمل شاق »

« قال أفلاطون — « الاوصياء وحدهم هم الذين يجب أن يفكروا . أما العامة فعليهم اتباع قادتهم مثل قطيع من الغنم » وهذه هى الفكرة السائدة فى عهد الديمقراطية السياسية فى هذا العصر ، والتي أفسدت نظم التربية الوطنية » هذا فيما يرى العلامة « رسل » من تحديد طرق التربية على الصورة التى عكفت عليها الحكومات . أما فى تحديد الفهم واتباع مطاوعات الشك فقد قال : « ليست حرية الفكر الدينية وحدها هى التى تلاقى كثيراً من العتبات .

فإن استحسان الشخص للباشفية أو الاباحية مثلاً ، يسبب له متاعب لا قبل له بها . والأدهى من كل هذا أن الحصول على بيانات أو براهين تؤيد هذه الأفكار يكاد يعد من المستحيلات . بيد أنك تجد الحال على مثل ذلك تماماً في روسيا حيث يمتنع على الناس العثور على بيانات تضاد نظريات الاتحاد والباشفية والاباحية »

« وكما يوجد في بلاد روسيا متعصبون يساهون بصحة نظريات لاتزال في دور البحث تسليماً أعمى ، تجد في بقية العالم متعصبين يساهون بصحة ما يناقض اعتقاد هؤلاء تسليماً لا يحتمل الشك أو الجدل . فذلك التعصب وهذا التسليم ، هما منشأ الحروب وسوء التفاهم وأصل الاضطهادات التي يتذرع بها كل من الفريقين .

« لقد دافع وليم جيمس عن نظرية « الميل الى الاعتقاد » . وأنا بدوري أدافع عن نظرية الميل الى الشك . لأن كل ما نعتقده يتضمن إيهاماً وأخطاء . ولا يوجد اعتقاد تام الصحة على إطلاق القول ، فيجب علينا إذن أن نصغى الى بيانات الغير ، لنثبت من الوقائع التي نتجادل فيها ، ولكي نكون على استعداد تام لترك ما يثبت خطؤه . هذه هي الاسس التي قامت عليها العلوم . فكل العلماء والمشتغين بالعلم على استعداد تام للقول بأن ما يعلمون به معرض للاصطلاح والتحويل على مقتضى ما يجد من مناحي النظر أو الاستكشاف ، وأن أقرب النظريات الى الصحة أصلحها للتعبير عن أمور أكثر . وكل الأفكار قابلة للشك بالضرورة »

« أما السياسة والدين فعلى الضد من العلم ، يعاقبان كل من يحاول اظهار الحقيقة بالسجن والاضطهاد والحرب ، ويمنعاننا عن سماع بعض البيانات وسماع ما نراه من الآراء . على أننا لو حكمنا العقل لزالّت تسعة أعشار المصائب الموجودة ، ولتعذر وقوع الحرب ، لأنه من الهين على من يحكم عقله أن يرى خطأ كل من الحزبين المتنازعين . أما الاضطهاد فلا محالة يمحى أثره حينما يصبح هم التربية محصوراً في العمل لما يؤدي الى توسيع الافهام لا تضيقها . إذ ذلك يقوم بالأعمال أقدر الناس عليها ، لا أكثرهم تملقاً للرجال المسيطرين » .

وضرب الفيلسوف « رسل » على ذلك مثالا فقال :
 « ان للطبع العلم جلالاته حينما استقبل أهله نظرية النسبية . فهذا انشتين
 اليهودى — الالماني — السويسرى ، والذي عينته الحكومة الالمانية أستاذاً
 للمباحث في أول أيام الحرب . طرح نظريته للبحث وأثبتتها البعثة العلمية
 البريطانية حين رصدت كسوف الشمس سنة ١٩١٩ . ومع أن نظرية النسبية
 قامت أساس العلم الطبيعى رأساً على عقب ، فأننا لم نرم من العلماء الا أتم استعداد
 لقبولها ، عند ما أثبتت صحتها . هذا لانه لم يدع أحدهم ، ولا انشتين نفسه ،
 بأن كلمة الفصل قد قيلت في هذا الصدد ، ولم يزعم زاعم بأن انشتين قد أقام بناء
 غير قابل للهدم أبد الدهر . ذلك لشعورهم بأن أمامهم ما لا يزال حله متعذراً .
 فالنظرية لا تزال معرضة للتحويل والتكييف ، وقبول العلماء لها غير مقطوع به .
 هذه هي روح العلم وصيغته »

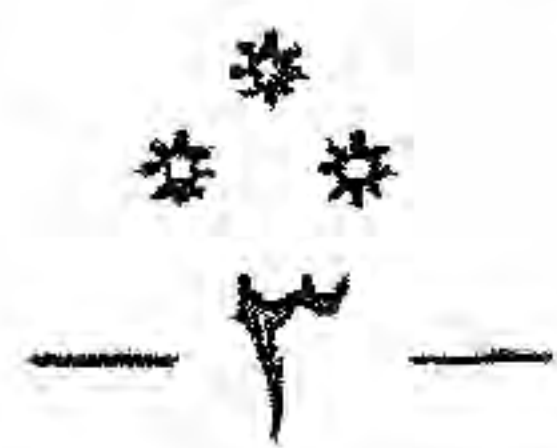
« أما اذا كانت هذه النظرية نظرية دينية أو سياسية اذن لاستشتم منها
 الانجليز ربح الجرمانية ، ومعارضو اليهود ، بآدى الصهيونية ، والوطنيون طريق الدروب
 من الخدمة العسكرية . ولقام زعماء النسق القديم الى ادارة البوليس ياحون على
 السلطات لكي تحظر تداول ما ينشر من براهينها المثبتة لصحتها ، وللفصل عن
 مقاعد التدريس فى الجامعات المستمسكة بالتقديم كل من أخذ من الاساتذة بالفكرة
 الجديدة . واذا فرض وكان انشتين قد استمكن من التحكم فى ناصية شعب منحط
 غير ذى حضارة ، اذن لفعل جهده ليعظم على الناس قراءة كل ما يخالف نظريته
 من التعاليم ولاعدت نظريته بديهيّة مقطوع بصحتها دون موازنة بين ما لها وما عليها
 من البينات . أما اذا أريد الموازنة بين المقتضيات فى ميدان أفسح ، فهناك
 الساحة التى تفصل فيها المدافع والبنادق فى صحة ما يدعيه كل من الحزبين .
 هذه هى النتيجة المنطقية لنظرية وليم جيمس القائلة بحاجتنا الى « الاعتقاد »
 ولكنى أقول ، كما قلت سابقاً ، أننا فى حاجة الى الشك »

تجد فى هذا مجمل ما تتبع الحكومات من سياسة أزاء حرية الفكر . فمما حد
 التربية تقوى المعرفة ولكنها لا تعمل أبداً على تجويد الفهم . ولقد وجدت

الحكومات أن في هذا الأسلوب رحمة كبيرة ، فإن حكم مجموع تكثر معارفه ، يختلف كثيراً عن حكم مجموع يجود فهمه . ذلك لأن تجويد الفهم في أناس يكتب عليهم عيش الذلة والخضوع مع ما يقدمهما من جوع وفقر ، أمر يكاد يكون من المستحيلات .

هذا من ناحية التربية . أما من ناحية نشر الأفكار المضادة لما تعتقد الحكومات أنه حق ، خطأ أم صواباً ، فطريقة جرت عليها الحكومات في كل بقاع الأرض . فإن الحكومات تمنع نشر الأفكار التي تنزعج لها الاغلبية على رغم أنها مضرّة وغير ملائمة لمقتضى الحال . ولكن هذه الأسباب هي عين الأسباب التي كان يتمسك بها دعاة محاكم انتفتيش الرهيبة ، كما يقول « رسل » وقد رأت في البروتستانتية ما نراه اليوم في البلشفية والشيوعية . ولا يقصد بهذا القول ضرورة للدفاع عن أى من هذه المذاهب المتطرفة الخرقاء

ولقد كان لتذرع الحكومات بحظر الأفكار التي لا توافق عليها الاغلبية أثر ظهر في دور النيابة وفي كراسى التشريع السياسى والمدنى ؛ ولهذا رأت الاغليات في بعض الأمم أنه من حقها أن تحظر نشر أفكار ما وأن تبيح نشر غيرها ، لان من حقها أن تمنع عنها ما يزعج بالها وأن تدفع عن الناس ما يؤذيهم طوعاً أو كرهاً . ولقد بدأت هذه الظاهرة في البروز في دارنا النيابية ، تذرع بها نواب وشيوخ يحاولون أن يعتدوا اعتداء صريحاً على حرية الفكر التي كفلها القانون . لهذا نتساءل هل للسلطة التشريعية أن تتدخل في حرية الفكر ؟



بينما فيما سبق تحديد حرية الفكر ، وعرفنا سياسة الحكومات - أراء حرية الفكر . والآن نتناول الكلام في السلطات التشريعية وهل لها الحق في أن تتدخل في حرية الفكر ، وعلى الاخص في البرامج التي تدرس في الجامعات ؟ حلت السلطات التشريعية الحديثة القائمة على النظام الديمقراطي محل الكنائس ورؤساء الاديان في العصور الوسطى . حلت هذه السلطات محل تلك ،

مع فارق واحد ؛ هو أن السلطات التشريعية الحديثة قد قامت فيما قامت عليه من المبادئ على أساس كفالة الحريات جميعها ، وأولها بالضرورة حرية الرأي . في حين أن السلطات الكنسية ورؤساء الأديان قد اعتقدوا في العصور الأولى أنهم لا يملكون فقط حرية الناس الدنيوية ، بل أيقنوا بأن لهم ظلماً في إقامة الدينونة وإنهم إلى حد ما « ديانون » يشاركون الله سلطته في توزيع العقاب والثواب على أهل الأرض . لهذا كان من الضروري لمن يعتقد بهذا الاعتقاد أن تقوم لديه فكرة أخرى هي أن « الفكر » أول ما يدان من أجله الإنسان ، ولما كانت الكنائس ، باعتبار الآراء التي ذاعت في العصور الوسطى ، مسؤولة عن تحديد المعتقدات الإنسانية بما يؤدي إلى خلاص الناس في الآخرة ، وفي ذلك تنحصر مهمتها للعظمى ؛ استتبع جماع هذه السلسلة أن يكون من حق الكنيسة أن تسيطر على آراء الناس وأفكارهم ، بدعوى السعي في خلاصهم الآخرى . على أن دعوى الكنيسة قد درست وبادت مع ماباد من الأفكار والمعتقدات التي قامت عليها في الماضي . فليس من المستطاع إذن أن تنتحل السلطات التشريعية في العصر الحاضر نفس السلطة التي كانت للكنائس في العصور الوسطى ، فتدعى أن لها حق السيطرة على أفكار الناس وتحديد معتقداتهم ؛ إلا بأن تدعى مع هذه الدعوى أن لها أن تستعمل نفس السلطة التي كانت للكنائس ؛ قائمة على نفس القواعد والمبادئ التي قامت عليها في الماضي . وهذا بالضرورة أبعد الأشياء عن مماشة روح العصر التي نزعنا بالناس إلى التحرر من آثار الماضي بقدر ما تتطلب مقتضيات والحالات

احتكت الكنائس في تحديد برامج التعليم في الجماعات واعتدت على حرية التأليف وكونت مجمع الفهرست المعروف الذي كان يقيد في فهرسته جميع الكتب التي يحظر على المؤمنين قراءتها . وكان من نتائج ذلك أن جمع الفهرست أسماء أشهر المؤلفات وأعظم المؤلفين الذين نفموا الإنسانية وخدموا العلم ، ولم يترك للمؤمنين من شيء يمكن أن ينتفع به علمياً أو أدبياً إلا حثالة مما كانت تخرج عقول رجال الدين أوسعت الناس جهالة وغثائة

فإذا ادعت السلطات التشريعية أن لها حق الاشراف على برامج التعليم التي تدرس في الجامعات ؛ خرجت بذلك عن وظيفتها الطبيعية ؛ وانقلبت أداة تحدد الفكر وتحتكم في التفكير ، وتستبد بحركة العقول والأفكار . ولا جرم أن هذا أشنع ما ينال الحريات من مظالم المستبدين .

وليس لنا من شيء نقوله بعد هذا لنفر من نوابنا قاموا بمحاولون أن يحددوا برنامج التعليم في جامعتنا الفتية ، فأخذوا نفس الوسيلة واتبعوا ذات الطريقة التي اتبعها رؤساء الدين في العصور الوسطى ، وأخذوا يرمون الدكتور طه حسين وفئة معه بالكفر والاحاد . ولا مرية مطلقاً في أن هذا السلاح وقد استعمل في القرون الوسطى ، كان أقوى سلاح تدرع به الجهل وادرعت به عماية المتعصبين ضد كل من أراد أن يهدم من بنيان الوهم ركناً ، أو يقوض من التقاليد العتيقة قائماً .

قال الاستاذ ديكسون وايت في خلال كلامه في قضية غاليليو في مؤلفه

المعروف :

« خير أن نيران الحرب مازالت تزداد تسعراً واحتداماً ، بعد أن اتخذ فيها من الأسلحة بعض ضروب تستحق أن نخصها بالعناية . تلك أسلحة من الهين أن نبهثها وأن نحيط بها علماً . لانك تراها أينما وليت وجهك في ميدان صورع فيه العلم . ولكنها في ميداننا هذا قد استخدمت بطريقة جعلتها اهدف حاداً وأمضى نصلاً ، منها في كل ميدان آخر . وما هذا السلاح الحدود الغراب سوى كلمتين : أولاهما كلمة « ملحد » : والآخرى كلمة « كافر بالله » كلمتان طالما وجهتا لكل انسان حاول مرة في تاريخ الدنيا أن ينفع ابن آدم من أية طريق وبأية وسيلة . أما الجدول الذي يحوى أسماء هؤلاء الكفرة الملحدين ، فتستوى وفقاه على أسماء أعظم من سارت به قدم من رجال العلم والمنهطعين للدرس والمستكشفين والعاملين على هناء الانسانية . سدد ذلك السلاح القوى الى صدور أمثال اسحاق نيوتن وباسكال ولوك وميلتون ، وحتى صدر فينيون وهو وارد ...

هذا السلاح الذي يدل في أول ما يدل عليه على الجهل المطبق والغباء ، والبعد

عن معرفه ماتقوم عليه الحريات الانسانية من أسس وقواعد ، قد حاول بعض نوابنا أن يتسلح به ضد الذين يحاولون أن يتحرروا من الآثار القديمة التي حملت هؤلاء النوات على أن يكونوا وراء العصر بقرون وأجيال ، فيسلوا ذلك السلاح من غمده الصدىء البالى ليضربوا به فى القرن العشرين ، فلا يصيبون الا الهواء ولا ينالون الا أقسى الضربات تسدد الى صدر الاستبداد والذين يريدون أن يحيا موتاه بعد أن دفنه العقل الانسانى وتركه فى ذمة التاريخ .

ولست أدري كيف أن هيئة تشريعية يمكن أن تدعى بأنها الكفيلة لحرية الفكر القائمة على صيانتها وحفظها ، فى نفس الوقت الذى تحاول فيه أن تحتكم فى برامج التعليم فى الجامعة وهى الموئل الوحيد الذى لا يجب أن ينال حرية الفكر فيه شىء من استبداد المستبدين ، فى أى ثوب ظهر وا ، وتحت أى عنوان أخفوا حقيقتهم .

يجب أن تستقل الجامعة عن كل ضرب من ضروب الاستبداد . يجب أن تستقل عن استبداد الافراد وعن استبداد الهيئات ، وأولى باليد التى تمتد مستبدة ببرامج الجامعة أن يقطعها سيف الحرية قبل ان تهذف بنا فى فلولات العصور الوسطى مرة أخرى ، فينكب عندنا الفكر بمثل ما نكب به فى اوروبا على يد الكنيسة الرومانية . بل أنا نكون أحط نزعاً وأسوأ سيرة . فقد كان من القرون الوسطى للكنيسة بعض المبررات على أن تتبع ما اتبعت من سبيل . فى حين أننا لا نجد لهيئتنا التشريعية أى مبرر ، لا من المقتضيات ، ولا من روح العصر ، يبرر لها لفرد منها أن يفكر ساعة واحدة فى أن يكون له أقل سلطة تحدد من حرية المفكرين فى وضع برامج الجامعة ودور العلم

— ٤ —

كيف يجب أن نفهم حرية الفكر ؟
ينزعج كثير من أهل التقاليد لترديد « حرية الفكر » ، ويمتقدون أن فى ذبوع هذا الاسلوب العقلى قضاء على الكثير مما ورثوا من أوهام وخيالات .

ولهم كثير من الحق في أن ينزعجوا وأن ينظروا في حرية الفكر نظرة من يعتقد أنها السلاح الوحيد لتحرير الانسانية من أوهامها الموروثة . على أن انزعاجهم هذا فيه من أثر الوهم أكثر مما فيه من أى شيء آخر . هم يتخيلون أن حرية الفكر تقضى على الدين وعلى ما يجرى مجرى الدين من المعتقدات التى تقوم على مدى الارمان وتتركز حول المعتقدات الثابتة . على أنهم فى نظرهم هذه مخطئون . فان حرية الفكر فى العالم الأوروبى تكاد تكون قبالة الشعوب ؛ فى حين أن روح الكنكالة لا تزال قائمة بكل ما ورثت عن القرون الاولى من قوة .

على أن هذا ليس من موضوعنا فى شيء . فلنرجع الى الصورة التى يجب علينا أن نفهم بها حرية الفكر .

يترتب على تحرير الفكر أن يقلع الانسان عن الاعتقاد بأى شيء يخالف أحكام العقل . وهذه القاعدة لا مفر منها . إذن وجب علينا أن نوازن بين تحرير عقولنا وأوهامنا . ولا جرم أننا لا نرضى بأن نلغى عقولنا فى سبيل تسويد مشاعرنا وخيالنا .

على هذه القاعدة يجب أن نعتقد أن قوة النقد ، وهى أرقى ما فى العقل لانسانى من صفات ، يجب أن تسيطر على كل شيء فى الوجود ، وحتى على الدين نفسه . وليس معنى هذا أننا اذا أتبعنا هذه الطريقة فى بحث الدين ، وجب أن نحتقر ذلك الميراث الذى قدمت به الانسانية طوال تلك الاجيال وأخذ بيد الناس يتودهم من فلول الزمان ، بل على الضد من ذلك نحمل له فى صدورنا أجمل ما تستطيع الصدور أن تحمل من عبارات الاحترام وصيغ التبجيل . ولكن هذا لا يحملنا مطلقا على ان نلغى عقولنا بجانب ما نحمل من احترام لذلك التراث . هذا ما تقتضيه حرية الفكر . تقتضى حرية الفكر أن يضحى فى سبيلها بكل شيء ؛ وعلى رأس هذه الاشياء ميراثنا عن الماضى البائس .

- ٥ -

النتيجة

والمحصل من مجمل هذا أننا لا نكون أبعد عن الاقسط في القول وأقرب الى الشطط منا اذا اعتقدنا بأن تراث الماضي يجب أن يكون نبراسنا الذي ينير لنا مفاوز الحاضر . فإن الحاضر هو في الواقع قائدنا وهادينا . وما الماضي الا صفحة بائدة نستقرئ فيها بعض ما يبرر لنا نظمات الحاضر التي نشعر بأننا في حاجة اليها . على هذا يجب أن نقفل في عقولنا فكرة التأثير بالماضي ، وأن نقوى في عقلياتنا ما استطعنا فكرة عبادة الحاضر ؛ لنستطيع أن نشق لأنفسنا طريقا يأخذ بيدنا في ما أدلهم حولنا من ظلمات

اسماعيل مظهر

تاريخ الفكر العربي

في نسوئه وظهوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

اصدرت دار الفجر للطبع والنشر هذا الكتاب بقبام
 اسماعيل مظهر صاحب مجلة الفجر رقم ٢٠٠
 صيغة من القطع الكبير فاطمة بنت جميع المطابع
 رجلة من دار الفجر بشارع اسماعيل الفداوى
 رقم ٧ بالظاهر

الليلة الأخيرة

أو غرضه الروح

يا ابنة الفجر ابعثي رب صباح من ثنايك يلوح
فترى فيه الحياه

يا ابنة الازهار والحسن أريج دائماً منك يفوح
عطرينا بشذاه

يا ابنة الانعام قلبي دائماً ليلاً ينوح
أفتدري أساه؟

عليه نعمة أخرى تكن : بلما تشفى الجروح
آه من جرحي آه !!

* *

يا ابنة الحب أعيريني جناحيك لأسمو في الفضاء
قبل ان تفتي حياتي

النجوم الزهر يطردن الدجى خلف ستار من ضياء
ورسول الفجر آتى

واسمعي أنشد الشعر صلاة عند معبود السماء
قدست فيه صلاتي

يا ابنة الحب أجيبيني في هذا آخر ليل من نقائي
وستطوى صفحتي ...

* *

يا ابنة الحسن اعصري لي من كروم الحسن خراً
واسقينيها بيديك

بين أنعام قيان تملأ الـ مدنياً خنياً ثم سحراً
جمته من مقاليك

فحياتي كنت أديرها رياضاً ، وأراها اليوم قفـرا
 أظهر المستور شكي
 هل اذا مت ستبقى عندك الايام من ذلك ذكرى ؟
 خبريني قبل هلكي

*
 *

قد سئمت العيش في الارض ض فيها نعتل متن الرياح
 للساء

ربما صرنا ملاكين يحلينا جمال وكال وسماح
 وصفاء

غلاؤ الآفاق شدوا ، ليس ندبا أو نواحا أو صياح
 أو عواء

مثل مافي الارض مما عفته من : رواح وبجيء ، وصباح
 ومساء

*
 *

أو تعالى ندمج ربنا صرنا كروح أو كسر
 يتجلى في الضمير

فاذا شئنا سكننا مهج العشاق أو أكمام زهر
 أو على وجه الغدير

أو سكننا أرض روض ، أو سكننا قلب بحر
 أو اذا شئنا نظير

ربما صرنا نجوما تنشر الذرور خيوطاً وهي تجري
 سابحات في الاثير

*
 *

فتمالي نسترح من ته ب الدنيا وبما هو فيها
 من شكوك

ملئت شتى خرافات وأو هام فن قلت انبذوها
نبذوك...

وتعالى نسلك الآن طر يقا لم يعبد به بنوه
باللوك

الصقتهم بالثرى المادة ح تنى رقصوا زهواً وتيها
في الحلوك (١)

هاهو الفجر اعتلى الأوج اعتلاء ملكياً
بالضياء

فتعالى عانقيني يا ابنة الحب عناقاً أبدياً
لانهائي

تحت ظل الكرم حيناً قبل أن نعلو سويّاً
للسماء

آه! قد أحسست بالقلب - واني شاعر - داء خفياً
بالدائى...

انه السر الذى لا يعلم ينزع الروح ، ويمضى
عن قريب

انه السيف الذى لا ينلم انه الموت ، سيفضى
بالمغيب...

يا ابنة الحب اذا مت ادفيني في فؤادك
واصعدى نحو السماء
لا تعودى أبداً

يا ابنة الحب انزعى من بعد أثواب حدادك
وتعزى بوفاء

غير محدود المدى

من لامل الصبر فى

(١) الحلوك : جمع حلك أى الظلام

مذكرات (أنا)

بقلم « س »

- ٨ -

وماذا تريدني ان أقول لك عن حياتي في الجامعة . فهناك شعرت لأول وهلة بصعوبة الاغتراب وكان من اللازم علي ان أعضد نفسي . وكانت طريقة التدريس صعبة أو علي الأقل شعرت انها كذلك . فقد عودتني المدارس المصرية ان يشرح المدرس درسه أمامي ثم ينبغي علي ان أراجع الدرس في كتاب تصرفه المدرسة أو من الدفتر الذي كتبت فيه ما أملاه المدرس حرفا بحرف . علي العكس من مدرستي الجديدة فقد كانت تعتمد علي التلميذ كل الاعتماد .

فأولا كنا ندرس الكتاب لانفسنا ونسمع الدرس للمدرس وبعد ذلك يلقى هو علينا محاضراته ولا يكتفي بذلك بل يحتم علينا أخذ مذكرات تحوى ملخص ماقاله وزيادة علي ماسبق كان يطلب منا الرجوع الي المطولات من المراجع وهي المعتمد في الامتحان النهائي . فكان التلميذ منا مضطرا الي أن يحفظ درسه أولا بول ثم يكتبه وبالطبع لا يمكن كتابته كتابة يوافق عليها المدرس الا اذا أصغى المحاضرة تمام الاداء وكان لابد لنا من مراجعة المطولات مع أخذ مذكرات منها ضايقني هذا النظام الجديد فكتبت لابي أقول ان تعليم المدرسة غير جيد كما هو الحال في مصر وطلبت منه الاذن في الرجوع الي الوطن فلم يكن جوابه لي الا انك اذا خرجت من المدرسة يجب أن لا تريني وجهك مرة أخرى . فوجف قلبي لهذا التهديد ، ولكني احتلت مرة أخرى فبعثت الي شقيقى أقول له « اذا لم يخرجني ابي من هذه المدرسة سألقى بنفسى في البحر » وردا علي هذا الوعيد كتب لي ابي يقول « ان فكرتك وجيئة ويمكنك ان تنفذها لانها أصلح شيء عمله اذا قررت خروجك من المدرسة » وبالطبع جئنت عن تنفيذها :

ولكني تعودت علي النظام الجديد والفت المعيشة بين أبنية الجامعة وعملت مجدا بجهدي حتى تيسر لي انهاء كل المواضيع المطلوبة مني في القسم التحضيرى باستثناء موضوعين اثنين . حضرتهما في الاجازة الصيفية في مصر . ولما جرت

الامتحانين في أول السنة المكتبية سمح له بالانضمام الى القسم العالى وقضيت عامين بعد ذلك ثابر فيها المرشد (وهو المدرس الذى وقع اختيارى عليه) ووالق هو على هذا الاختيار ، على ارشادى الى مايجب ان أفعله وفق استعدادى فرتب لى برنامجا للدرس أقتطعه من عدة مدارس ليوفق بين استعدادى وبين ما كنت أرمى اليه . وهنا بدت لى حياة الدرس بصورة جذابة تماما لان عقبات اللغات والكيمياء والطبيعة والرياضيات التى كنت أكرهها أزيلت من طريقى وترك لى الحبل على الغارب فاجتذبت ما مالت اليه نفسى من المواضيع الاجتماعية فكنت أعمل اثنين وثلاثين ساعة فى الاسبوع دون كلل ولا ملل . فلا البث ان أقف على مبادئ علم من العلوم حتى أمسك بتلابيب علم آخر . ومع كل ذلك فالتجربة علمتني ان التصاقى باحد المتحذلقين من تلاميذه كان كافيا لاختزال زبدة مايجويه الكتاب الذى قرأه قبل الدخول للتسميع وكنت أرهف أذنى جيداً لسماع المحاضرة وكانت يدى تتحرك بسرعة لاختزال المحاضرات فاذا ماخرجت كتبته باختصار فى كناشقى . واما المطولات فكنت أقف على مضمونها بغاية السهولة ، وذلك باتفاقى مع شخصين على ان يقرأ الاول كتاب كذا ويلخصه لى وأنا بدورى أقرأ الكتاب الثانى والخصه له ثم اتفق مع شخص آخر اتفاقا عكسيا فأكفه بقراءة الكتاب الثانى وتلخيصه لى متعبدا ان أعطيه تلخيص الكتاب الاول فاذا ماانتهى الشخصان من القراءة كنت أكتب تلخيص كل منهما فى كراستى وانقل تلخيص هذا لذاك وبالعكس فهذه الطريقة الشيطانية كان لى متسع من الوقت للاشتراك فى جميع الانظمة الاجتماعية العلمية والرياضية فى المدرسة . وكثيرا ما كان يعجب أساتذتى واخوانى كيف يمكننى ان أثابر على الدرس وأنا دائما فى ساحة اللعب ولكنى كنت لأفشى لهم سرى الرهيب وحقيقة لم يكن تربيى بين التلاميذ متقدما . ولكنى أشعر الآن باننى وجهت التفاتى الى خير مايمكن اجتنأوه من نظام الجامعات قلبها هو التشكيلات الاجتماعية التى تحويها حيث يحيا الطالب فيها حياة اجتماعية أقرب لما يسمونه المثل الاعلا وكيف لا يكون الطالب كذلك وهو يشترك فى سن الدساتير وفى اثبات أو نفي النظريات المطروحة على بساط البحث وكذلك هو مضطر الى تنظيم وقته كما يفعل

عطاء الرجال . ويتمرن على ان يخفف من غلوائه في أوقات الضيق فرئيس الجمعية هو رئيس وزارة يبذل جهده لادارة دفتها حسب سياسة معينة وعليه ان يواجه حملات الحزب المعارض بصدر رحب . كذلك من واجباته ان يذلل الامور مع ذوى الشأن وان يستقبل وفود الاعضاء المعترضين وان يبسم للغاضبين . ومن واجباته مقابلة الزائرين . فعليه والحالة هذه مسؤولية لاتعد حقيرة بالنسبة لسنة ومقدار اختباراته . واما أعضاء مجلس الادارة فهم وزراء الدويل ولكل منهم عمل هو مسئول عن انجازه وبما ان لكل جمعية مجلة شهرية فمسؤولية رئيس التحرير كبيرة . وكذلك تجد أغلب الاعضاء مضطرين للتسكاتف كي لا تظهر مجلتهم وهى لسان حالهم بشكل مزر . واما الاحتفالات العامة فتحتاج الى نظام دقيق واشراف شديد . أضف الى كل ما سبق العمل على حفظ سمعة الجمعية وكف يد الاعضاء الاشقياء عن عمل ما يشين سمعتها وكذلك الجهاد لدفع التهم التى تكال لها بحق أو بدون حق ليست هذه الحياة شبيهة بالحياة التى نعيشها فى المنزل وفى النوادي وفى أمكنة العمل . وكم أود أن تقلل مدارسنا المصرية من أكادس العلوم العقيمة المتنافرة التى لا تصلح لشيء ما بعد ان يجوز التلميذ فيها الامتحان وتتبع الجامعات فى ايجاد هذه التشكيلات الاجتماعية . وكانت توجد مدرسة ملحقة بالجامعة يديرها الطلبة غايةا تعليم الاميين مبادئ القراءة والكتابة وكان الانضمام اليها اختياريا . وكانت هناك أيضا جمعية لتسلية مرضى مستشفيات الجامعة وكان عمل أعضاء هذه الجمعية الاخيرة ينحصر فى زيارة هذه المستشفيات لقص القصص على المرضى المحتاجين للتسلية واسماعهم أغاني . أو قطع موسيقية من الحاكى أو الاشتراك مع الاطفال فى العاب مختلفة . وكانت تجرى مسابقات المقصود منها هو تفصيل أو تطريز ملابس لاولاد الملجأ فكان التلامذة ينقسمون الى فرق ليسابق كل تلميذ منهم فى عمل شيء أسرع من غيره ، أولا للذة وثانيا لربح كتاب لا تزيد قيمته على قروش خمسة وكان الناتج من رسوم الدخول يكفى لثمن المواد الاولى التى تستعمل ثيابا باضافتها الى تبرعات يجود بها الطلبة . هذه هى الانظمة التى رعت فيها بضع سنين وبجانب هذه اللذة مارست أشياء مكرهة كاجبار الجامعة للطلبة على حضور

الصلاة مع الدروس الدينية ولم كانت تمتت نفسى ذلك التحكم ولكن لم يكن
 هناك بد من تحمله حتى يمكن البقاء فى الجامعة وانى لا أزال أضحك ملء فمى من
 هؤلاء المبشرين فان طريقتهم ، لو يعلمون ، عقيمة للغاية . فهم يهاجمون الايمان
 معتقدين أنهم يحولون الشخص من اعتقاد لآخر دون أن يشعروا بأنهم ينسفون
 بذلك الايمان من قلبه نفساً . وكيف يمكن لغير المؤمن أن يصبح مؤمناً مرة أخرى
 بعد أن يذهب الايمان من قلبه ؟ وهكذا كنت مؤمناً بكل ما لقنه لى والذى
 وبكل ما تشبثت به من التقاليد . كنت أتألم بآدى ذى بدء عند مشاهدة معاول
 التخريب تقوض ذلك البنيان الجميل والخيال الجذاب . ولكننى لم ألبث حتى
 ألقت الحال فلما جاء دورهم لتثبيت ماشاؤوا تثبيتته فى نفسى من المعتقدات أسرعت
 الى المعول الذى ألتوه أرضاً وأخذت أعمل مجدداً فى تحطيم ما يبنيونه كما هدموا من
 قبل ما بناه أسلافهم . أجل فقد جاء دورى لاستعمال العقل والمنطق لتقويض بناء
 الاعتقادات الجديدة وبالفعل قوضتها دون رحمة فساءت العلائق بينى وبين أولى
 الشأن خصوصاً واننى أصبحت نبياً أبشر بوجوب تغليب العقل على الخيال
 وصدقنى أيها القارىء أنتى شعرت بنفسى تائهة فى صحراء بعد أن تحطم
 البيت الذى كنت أسكنه . وهل يمكنك تصور رجل تائه فى مجاهل قفراء دون
 أن يكون له حتى ولا أمل كاذب هو البقية الباقية التى تحته على السعى من أجل
 الوصول الى النهاية ؟ أجل أنه سراب خادع ولكنه يعد غاية على كل حال . فما
 قولك فى رجل يقطع جبل أملاك وهو البقية الباقية لك قائلاً « انك سخييف لعمرك
 بالوهم ، وهل تظن أن ماتبيديه من الآراء معقول ؟ الا فكر جيداً تجد أن رأيك
 هذا ليس له أساس ، وذاك لا يمكن تطبيقه ، وفكرتك تلك ضعيفة ، وانظريتك
 الاخرى تحتاج الى اثبات » . ولم يكن عجبك شديداً عند ما يحاول أن يحيى
 فيك الأمل بآراء وأفكار وانظريات لا تقل سخافة عما أثبت لك سخافته من قبل .
 ان مصدر حركة الاتحاد فى الشرق هم جماعة المبشرين . وأراهنك على أنك
 لن تجد واحداً فى كل مائة من خريجي مدارس المبشرين يحوى قلبه مقدارا من
 الايمان البرى الذى يملأ صدر رجل الطريق العام الذى تقابله كل يوم فى غدواتك

وروحاتك. بالعامية من سعداء لا يفكرون الا في قوت يومهم والى حين قصير.
وهناك أمر آخر شر من السابق، ذلك هو روح المداخلة التي يبيتها أولئك القساوسة
في نفوس النشء والتظاهر بالتقى والورع وهما المفتاحان اللذان يقربان صاحبهما
الى أبواب الحل والعقد منهم فالمرآة من الصفات الميزة لطلبة مدارس المبشرين
يندفع نحوها الشبان والصبية ظناً منهم أنها تساعد على تحسين آراء المدرسين
فيهم وهذا اسوء الحظ صحيح لدرجة محدودة فان بعض المدرسين يأخذون بيد
المقصر من أولئك (التدريسين) أما بقية المدرسين فيفهمونهم فهماً خاطئاً لا لسبب الا لان
المدرس يزن حسن أخلاق الطالب وأدبه بمبلغ ما يتظاهر به من الورع والتقى الكاذبين.
واسوء الحظ، أو حسنه، لم أعر هذا النوع من «الايتيكيت» التفاتاً
بالمرة، فقابلتني ضروب من الاضطهاد لم يحتمل صدماتها رأسي الفتي فأصابني
السويداء وابتليت بمرض ضعف أعصاب الدماغ وما على القارئ الا أن يتصورني
بلا عمل في وسط كله يعمل. وجدت هذا بعد أن انهيت دراستي ولم أجد أمامي
مجالاً للرجوع الى الوطن وكنت كلما حاولت شق طريق أمامي لأشغل نفسي
بالدرس سد هذا الباب في وجهي ولم يصنع أحد منهم لاحتجاجي. وحتى كتب
المكتبة العامة المفتوحة لكل قادم كانت تمنع عني. ليس كلها بالطبع، لأن
كتب الدين كانت توهب لي دون حساب وكنت أحت على درسي الألف منها
على أصول الإيمان وهكذا قضيت عامين في وسط كله يعمل دون أن أتمكن من العمل
وكان الشباب يدفعني الى العجلة وكان كل يوم يمر دلي بخيل لي كأنه عام
يصرم من حياتي القصيرة وكانت الآمال تذوى وكانت عزة نفسي تحتقر
لا شيء الا لاني (هرطوقي) انفت سم الاتحاد في آذان الطلبة

وفي هذا الوقت العصيب المدلم الذي قرر فيه الاطباء وجوب ارسالي الى
مستشفى الامراض العقلية ضمنى الحب بين ذراعيه فوجدت فيه شاغلاً ملداً.
وهكذا استقر ما تبقى لي من العقل في مكانه

(.....)

ملخصة بتصرف

الاصلاح الاجتماعى

نشأت دول الغرب للعمل على رفع مستوى حياة عملها وزراعتها حتى ترفة عنهم بعض الشئ، فتزداد قوة انتاجهم الامر الذى ينتج احسن الاثر فى زيادة الثروة الاهلية بمقياس القوة التى هى كل شئ للدولة وقد أخذت نظرية « يتكون المجموع السعيد من الافراد السعداء » تنتشر فى تللكم الاوساط فهب القوم للعمل على تحقيق منظورها حقيقة وجد نظام التعاون منذ امد بعيد ولكن يجب ان نفرق بين النظام القديم الذى نشأ لدرء خطر كان وقوعة محققا وبين النظام الجديد الذى يرمى الى مثل اعلا هو العمل لرفع مستوى طائفة من البشر عن مستوى العجماوت وكان الامير يكون أول من فكر فى العمل على أساس غير أساس التعاون المتبع منذ امد غير قصير. وتدور الفكرة الجديدة حول وجوب استجلاب أنواع السرور ووسائل الثقافة والمدنية الى الارياف حتى لا يمل الشبان ذوو المطامع من الإقامة هناك فيتكبدون فى المدن حيث يؤثرون فى تخفيض الاجور ويتسببون فى رفع رقم العاطلين الامر الذى يؤدى الى الفوضى والبؤس اننا لو درسنا حالة فلاحنا ، وهو القسم العامل المغبون فى الامة نجد بوادر النزوح الى المدن قد ظهرت فيه . كذلك نجد ان عدد العاطلين فى القاهرة مثلا اخذ فى الازدياد وبالطبع نتج عن ذلك ازدياد الجرائم واذا درسنا حالة الارياف نجد معظم سراتها ومتعلميها قد نزحوا عنها الى العواصم أو العاصمة الكبرى حيث يتيسر لهم اللهو وانى اسف لعدم امكان القول لى يتيسر الدرس لهم ، لاننا لم نعشق حتى الآن هذه اللذة الفكرية . وبخروج نخبة القرية منها لا يتبقى فيها الا بسطاء المزارعين الذين لا يعرفون غاية حياتهم اذ يبدأ كل منهم عمله الممل مع طلوع الشمس ويرجع وقت غروبها كي يأخذ قسطا من الراحة فى مكان لا يمنع عنه حر القىظ ولا زمهرير البرد ، فكيف نتظر من هذا

المخلوق ان يجهد ويجتهد وان يتفائل وهو يشعر بثقل حمل الحياة ولا يعرف طعماً
للذة التي نعمل لاجلها

ان عمل الفلاح طول يوم في الحقل على مدار السنة لا ينتج مقدراً يعادل
المقدار الذي ينتجه لو عمل ست ساعات فقط كل يوم وترك له فرصة لتثقيف
ذاته وترهيفها ببقية ساعات النهار حتى اذا ماجن الليل وجد له مأوى نظيفاً وطعاماً
مغنياً ووسطاً عائلياً يجلب السعادة ويرقى فيه غريزة العطف على اخيه الانسان
اذهب الى أية قرية من قرى القطر تجدها قد كسيت بكساء من الكآبة
وشغل العيش متسخة البواب بشعة المنظر فاذا ماجن الليل لا تعثر الا على أشياء
مشابهة للقبور الخفية بصوص من شقوقها نور ضعيف . اما عن الروائع الكريمة
التي تتصاعد من هنا وهناك فحدث عنها ولا حرج ففي وسط هذه المزبلة يعيش اغلب
سكان القطر

يقول الامير يكون ان معاهدهم العلمية ليست غير دور صناعة تتلقى الواحدة
منها الشبان مهما كانت اخلاقهم وآراؤهم واديانهم واممهم فتصنعهم بضاعة أمريكية
تصلح للسوق . فالمعاهد العلمية هناك هي الدور التي تصنع فيها النماذج المطاوب
صب الامة بأجمعها على منوالها وفي هذه المعاهد يرى الاساتذة تلامذتهم على
منوال اجتماعي يصلون اليه بعد اجراء عدة تجارب وبعد درس وتمحيص طويلين
تخرج الجامعات الاميركية على الخصوص يخرج منها رجلاً اجتماعياً نموذجياً
قبل كل شيء يمر من منذ صغره على العمل بجهد على مساعدة الغير للنحو على منحاه
ولطاب العالم فرصة قلما تسنح لغيره وهذه الفرصة هي الاجازة المدرسية ففي
هذه الاجازة يرجع الى قريته وهناك يبذل جهداً كبيراً لبث روح الجامعة الاجتماعية
بين الآهاليين فينظم لهم النوادي الرياضية والادبية والزراعية وغير ذلك كذلك يبذل
جهداً غير يسير في نشر التعليم وتنظيم فصول الدراسة واللقاء والمحاضرات وانشاء
فرق الكشفاء واحياء لياالي السرور واعطاء الارشادات الصحية . يفعل كل ذلك
بارشاد مدرسيه الذين لا يفتنون بمدونه بمساعدتهم الفعالية والادبية هذا في الوقت
الذي تده فيها الجامعات بالنشرات المملوءة بالنصائح والتعليقات

ليتصور قارئ الآن وجود شخصين أو أكثر من قرية صغيرة يعملون متحدّين لرفع مستوى الأهالي ويجدون في إرشادهم إلى أحسن الطرق الموصلة إلى الحياة السعيدة. ليتصور قرية تعدادها ألف نسمة، مثلاً تحوى نادياً لتربية الدجاج وآخر للفلاحة وثالث للعب الكوة ورابع للمطالعة وخامس لنشر التعليم الأولى وسادس للإسعافات الطبية وسابع للتمثيل. ليتصور ذلك وليقارنه بقرانا المضجرة الوسخة. وللجامعات كما للمدارس العالية أفرع لخدمة المجموع وهي تسيطر خلال الإجازة الصيفية بوجه خاص على كل من له صلة بالجامعة لترسل الاساتذة المدرسين للتفتيش على الطلبة المنبثين في قرى البلاد وللقاء المحاضرات في الفنون والمعارف المختصين بها بلغة سهلة فاذا ما جاء وقت الصيف يستعمل كل أستاذ ومدرس صالونه وهو عبارة عن سيارة يسوقها بنفسه فيها مكان للنوم والراحة ينتقل به من جهة إلى جهة مناقشاً شارحاً ثم يوزع نشراته على الفلاحين وكثيراً ما تصاحبه زوجته أو ابنته لخدمة مسكنه الصغير شطرا من الوقت ولمساعدته على العمل بين النساء شطرا آخر فيدرب البنات على التطهير والطهي والترييض وتدبير المنزل

ولا ينسى موظفو الحكومة وأصحاب الأعمال الحرة انهم كانوا يوماً من الأيام طلبة في الجامعات وأن عليهم واجبات اجتماعية ولذلك يبذلون ما في وسعهم لتغذية المنشآت الاجتماعية في دائرة أعمالهم يشجعونها ويرشدونها ويعملون فيها كأنهم من السكان متناسين وظائفهم الرسمية وهم في الحقيقة مراسلون محليون للجامعات ومرشدون للطلبة حين ينشرون في جميع الانحاء مدة العطلة الصيفية

وللتناضى واجب كما للمحامى والطبيب والمهندس هو لقاء المحاضرات هنا وهناك لتنوير الناس كل في فرعه المختص به وكذلك الاشتراك في أقصى عدد ممكن من الاندية اشتراكاً فعلياً مادياً وأدبياً

وقد بدأت الجامعة الاميريكية في تطبيق هذا النظام هنا عن طريق « فرع الخدمة العامة » التي أنشأته حديثاً وهي تدرب طلبتها على العمل وتمدهم بما في مقدورها من المال والمعلومات فاذا تذهبت الحكومة إلى وجوب الاشتراك في هذه الحركة انتج عنها للبلاد خير عظيم مع ملاحظة أن لدى الحكومة ما يؤيد

أن عشرة آلاف طالب كلهم في المعاهد العالية والفرق المتقدمة من مدارسها الثانوية يمكن تدريبهم وتنظيمهم لترويج الفكرة طيلة العطلة الصيفية التي تزيد عن ثلث السنة ومن رأي أن من واجب الحكومة تنشيط حركة التنظيمات الاجتماعية في مدارسها وخصوصاً في الجامعة وأن تهتم بإنشاء فروع « للاقتصاد الريفي » في مدارس الزراعة والحقوق والتجارة وكلية الآداب بالاقول .

تصور كم يسر الفلاحون عندما يفد عليهم أبناءهم لت قضاء الاجازة الصيفية بينهم لتنفيذ برنامج تعليم أولي وتنظيم احتفالات للكشافة وللمسابقات الرياضية والقاء محاضرات وتمثيل روايات وتكوين نوادي للموسيقى والغناء ولفلاحة البساتين هذه كلها يقوم بها الطلبة مدة أربعة شهور بالاقول كل سنة .

وكم يزداد سرور مفكرينا عندما يجدون أن الطلبة يكونون في كل قرية مكتبة صغيرة يهبونها ما يستغنون عنه من الكتب المدرسية وغير المدرسية بل ألا يسر أن نرى الطلبة بين المزارعين وسط الحقول يفلحون ويبذرون ويحجثون الحاصلة وكلهم جاعل نفسه نموذجاً طيباً للفلاح البسيط .

ومما أسر له الحركة التي بدأتها جمعية الاتحاد النسوي لنشر التريية والمواساة والارشاد وكم أود لو قامت الاوانس طالبات المدارس بنصيبهن من العمل بين القرويات من ابداء النصائح الصحية وتدريب البنات على الحياكة وأعمال المنزل .

أليس من الخسارة أن نشجع جيشاً كبيراً يبلغ العشرة آلاف شاب على الكسل لمدة أربعة أشهر كل عام يقضونها جالسين على كراسي البارات لا يتكلمون الا في الموضوعات التي يأنف من التدني الى بحثها كل رجل متعلم يعرف للشرف معنى

عمر عنایت

القضية المصرية

فى طورها الأخير

١ - العون الدولى

نستطيع أن نحدد القضية المصرية ونحصرها فى جملة واحدة . فالواقع أن القضية المصرية عبارة عن سلسلة اعتداءات من جانب إنجلترا ، تتبعها سلسلة تسليمات من جانب مصر . فى هذه الجملة ينحصر معنى القضية المصرية . غير أننا لا نغنى بالتسليم من جانب مصر أن ذلك يعطى إنجلترا فى مصر حقاً شرعياً ، ولا أن اعتداء إنجلترا على مصر يكسب هذا الاعتداء صبغة شرعية . والحق أن اعتداء القوة فى كل المعصور لم يكسب المعتدى حقاً مشروعاً — ولا أفقد الأمة المعتدى عليها حقوقها الأبدية ، بل هو حالة زائدة على الحالة الطبيعية التى تكونت فى مفهوم الشعوب وتحددت بأن لكل أمة حق الحياة والحرية . ومن الطبيعى أن يصطبغ الاعتداء الواقع من جانب القوى على أمة ضعيفة بصبغة دولية ، مادام لهذا الاعتداء علاقة بالمصالح القائمة فى الدنيا لمجموع من دول الأرض . لهذا اعتبرت القضية المصرية منذ أول اعتداء إنجلترا على مصر ، قضية دولية ، عقدت من أجلها المؤتمرات ووقعت المعاهدات ، وصرح بشأنها سياسة إنجلترا تصرىحات عديدة ، لم يقصد بها إلا أن تطمئن الدول ذوات المصالح فى الشرق على مصالحهن مع وقوع الاهتداء الفعلى على مصر . وظل العون الدولى ذا أثر ما فى تحديد القضية المصرية ، إلى أن زار الملك ادوارد السابع فرنسا وعقدت على أثر زيارته هذه معاهدة سنة ١٩٠٤ التى أطلقت يد فرنسا فى مرا كش بمنل ما أطلقت يد إنجلترا فى مصر .

فقدت مصر بذلك العون الدولى . ولكنها لم تفقد قضيتها الصبغة الدولية . فان بمجرد وقوع مصر على ذلك الطريق العالمى الذى يربط بين الشرق والغرب ، كاف لان يجعل قضيتها دولية الى أبد الآبدين . ما يؤثر على هذا الموقع من

معاهدة ولا اعتداء ولا تصريح سياسى ولا شىء مما يجرى هذا المجرى . لان
ماربطته الطبيعة لا تحله الماحكات الانسانية .

كانت فرنسا أول الدول التى ناوت انجلترا في مصر . فلما أمنت على
مراكش وامنت على أن تكون حرة في اعتدائها على شمال أفريقية ، وغالت
يدها عن مساعدة مصر دولياً في حل قضيتها ، فقدت مصر بذلك العون الدولى
وكانت دول الوسط لا تتطلع الى هذه الاعتداءات الا كما يتطلع شخص الى
بناء يقام من الورق لا يلبث أن ينهار اذا زلزلت الارض من تحته . وكانت ألمانيا
الاصبع المحرك لهذه السياسة . فعمدت الى فكرة أن حرباً عالمية تهزم فيها انجلترا
وفرنسا كافية لان تبدل كل نظام الاستعمار الذى قام في القرن التاسع عشر وتنقله
بكل ترائه من يد انجلترا وفرنسا الى يد ألمانيا . وهذه الفكرة أفقدت مصر عوناً
دولياً كان من الممكن أن تعتمد عليه . وكانت تركيا رجلاً مريضاً تطببه السياسة
الألمانية ، فكانت تكيل له السم الزعاف في جرعات معسولة . -

بهذا فقدت مصر العون الدولى . على أن بعض الناس قديذهب في تفسير
هذا الامر الى حد الاعتقاد بأن فقدان العون الدولى فقدان لدولية القضية المصرية
بالذات . وهذا أبعد ما نشأ في السياسة المصرية من النظريات عن حقيقة الواقع .
فإن الفرق بين فقدان مصر العون الدولى وبين أن قضيتها دولية ، كبير . غير أن
فئة من السياسيين روجوا لهذه النظرية ، لا لشيء الا ليجدوا لانفسهم مبرراً
يدخلون به مع انجلترا في سلسلة من المفاوضات العقيمة التى نعتقد بحق أنها ان
تكن قد أفقدتنا بعض الحقوق من الوجهة النظرية البحتة ، فانها كانت أفعل من
غيرها في تغيير مجرى الفكرة الوطنية وصرفها في متجه جديد ، أضراً أكثر مما نفع .

«*»

٢ - المؤتمرات الامبراطورية وعهد السلام

وكانت الحرب اعظمى ، فتحطمت تركيا ، وهزمت ألمانيا ، وانحلت النمسا
وأطلقت يد فرنسا وانجلترا في العالم تفعلاً به كيف شاءا استعماراً واستغلالاً .
وأخذت النظريات الجديدة تظهر في أفق السياسة الدولية . فعمدت انجلترا

الى الامبراطورية الاستعمارية تدمغها بطابع جديد ، فقالت بفكرة الدائرة المرونة التي بشر بها لورد ملنر وروجها في أنحاء الامبراطورية البريطانية ، ثم نشأت فكرة استشارة المستعمرات المستقلة في سياسة الامبراطورية . كل هذا لتقاوم انجلترا الفكرة الاصلية التي قامت عليها عصبة الامم . فكونت انجلترا بهذه السياسة عصبة امبراطورية صغرى تواجه بها عصبة الامم الكبرى ، وقيدت نفسها ازاء عصبتها الصغرى ببعض قيود وهمية ، أخذت تحتج بها كما صادفت من الازمات ما يعاند سياستها التقليدية التي جرت عليها طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وكان من الطبيعي أن تغل يدعصبة الامم عن مصر وعن الامم التي يشابه مركزها مركز مصر ازاء الاستعمار الاوروبى بمقتضى ما وضعت فرنسا وانجلترا لهذه العصبة من نظمات لم تصبح بها عصبة الامم أكثر من خير من الاخبار ، أو وهم من الاوهام ، وذلك فى السياسة العالمية العملية على الاقل . وكان من الضرورى أن تستشير انجلترا مستعمراتها المستقلة فى أمر النظام الذى تسير عليه مصر ، وكان من الطبيعى أن يتقيد الانجليز ، ولو فى الظاهر ، بما تؤدى اليه هذه الاستشارة من النتائج . فلما أرادت مصر أن ترفع صوتها ازاء اعتداء انجلترا على حريتها مرة أخرى فى مؤتمر لوزان الاخير ، وكان لابد لهذا المؤتمر من أن يتناول أشياء حيوية تتعلق بمستقبل مصر وحقوقها ، جابهتها انجلترا فى المؤتمر بأن مصر حلقة فى سلسلة الامبراطورية وأن لانجلترا أن تتكلم عنها . وهذه المتناقضات فى مجموعها تكون فى نظر انجلترا وفى نظر الدول ما يدعونه القضية المصرية . وكذلك سيكون شأننا اذا نحن أردنا أن نرفع صوتنا بالاحتجاج لدى الدول التى تتفاوض الآن فى عقد عهد السلام العام . فان انجلترا سوف تجابهنا بما جابهتنا به فى الماضى أمام مؤتمر لوزان ، ونخرج من هذا المؤتمر كما خرجنا من المؤتمر الاول .

هذه الاشياء فى مجموعها لا تفقد قضية مصر صبغتها الدولية ، بل هى دليل على اننا فقدنا العون الدولى لا غير . والفرق بين الحالتين كبير كما ترى .

٣ - المفاوضة مع فقدان العون الدولي

لا جرم أن كل مفاوضة تقع بين أمة ضعيفة اعتدى على استقلالها وبين الأمة التي وقع منها هذا الاعتداء ، يكون عقبا غير منتج ، وعلى الاخص اذا فقدت الأمة المتمدنى عليها كل عون دولى ، فى حين أن الأمة الغاصبة ، رغم قوتها ، تحوز أكبر قسط عرفة التاريخ من القوة الدولية .

هذه النظرية على بساطتها احتاجت الى زمان طويل جداً ، اذا اعتبرنا السرعة التي سارت بها حوادث السياسة المصرية خلال السنوات العشرة الاخيرة ، لكي تثبت فى أذهان بعض السياسيين . غير أن الاغلبية الساحقة من المشتغلين بحل القضية المصرية والرجال المسؤولين فى الحكم ، لا يزالون حتى اليوم فى شك من صحتها . ولا ندرى بطبيعة الحال ان كان هذا الشك أمراً يلجأ اليه لتبرير خطة معينة ، أم أنه ناتج عن إقتناع سوف يغير شيئاً من خططنا السياسية . على أن الازمة الاخيرة التي قامت عقب رفض المعاهدة التي قدم بها ثروت باشا بعد مفاوضات الطويلة ، قد أثبتت بما لا سبيل الى ادحاضه ، أن هذه النظرية البسيطة لا تزال تحتاج الى كثير من الجهد لكي تقبلها عقول السياسيين .

يقولون بأن مصر مادامت قد فقدت دولية قضيتها ، وما يقصدون فى الواقع إلا أنها فقدت العون الدولى ، فلا بد لها من أن تفاوض . يقولون هذا القول غير ناظرين الى كثير من الاعتبارات العامة . وهم فى نظرنا أن فقدان العون الدولى أجدر به أن يكون سبباً لأن نبتعد عن المفاوضة ، لا أن نقدم عليها .

اذا روعيت هذه الاعتبارات ، واذا كنا قد استطعنا أن ننتفع من تجاربنا الماضية فى مفاوضاتنا العديدة ، وجب علينا أن لانفكر فى مفاوضة جديدة ، بل تعين علينا أن نعمل من طريق آخر ، نستطيع به أن نستمد العون فيه من أنفسنا ، مادامنا قد فقدنا العون الدولى .

٤ - المسيح والاسخريوطى

لما عقد مؤتمر فرساي في فرنسا ليقرر معاهدة السلام بعد الحرب العظمى ، وتقدم الدكتور ويلسون بمشروعه الكبير الذى شمل فيما اشتمل عليه عهد عصبة الامم ونظرية التقرير المصير ، جالس ويلسون عن يمين مسيو كليمينصو ، ثم فرنسا ، وجلس عن شمال اليمى مستر لويد جورج . وأخذ مستر ويلسون يدلى بفكرته الاساسية فى العصبة وفى تقرير مصير الشعوب ، وأخذ لويد جورج يحور فى الاسس التى أرادها مستر ويلسون حتى فاز وكليمينصو بتقرير مبدأ الانتدابات ، كما فاز بتصريح ويلسون المعروف عن مصر . هنا قال كليمينصو كلمته المشهورة : « خيل الى أنى أجلس فى مؤتمر الصلح . والمسيح عن يمينى ، ويهوذا الاسخريوطى عن شمالى » .

ولا جرم أن يهوذا الاسخريوطى الذى أبطل سعى المسيح فى مؤتمر فرساي ، هو نفسه الذى تقدم على مفاوضته الآن . فاذا نسينا ذلك نكون قد نسينا المبدأ الاساسى الذى يجب أن يقوم عليه عملنا فى سبيل تحرير بلادنا .

.....

٥ - الامبراطورية البريطانية وتصريح ٢٨ فبراير

نريد أن تقدم للكلام فى علاقة الامبراطورية الانجليزية باعتبارها نظاما سياسياً بتصريح ٢٨ فبراير المعروف ، بمقدمة وجيزة .

فى العصور الاولى وفى حدود العصور الوسطى ، اضطر الناس بعقضى الاعتبار التى قامت فى أفق الاجتماع البشرى الى استخدام العبيد ، واستمر نظام الرق كقاعدة من القواعد التى قام عليها نظام الجمعية . ومضى هذا النظام قائماً حتى بدأ الاسياد المستعبدون يشعرون بأن نظام الرق أقل فائدة لهم ، من الوجهة المادية بالضرورة ، من نظام التحرير . لهذا بدأت فكرة تحرير العبيد تتكون فى الرؤوس ، لا باعتبار أنها فكرة مثالية نزع اليها الانسان شفقة ورحمة باخوانه فى الانسانية ، ولا باعتبارها مبدأ سامياً جديراً بأن يعتنقه الانسان بعد أن تهذب وعدين ، بل باعتبار أنها النظام الوحيد الذى يجب أن يحل محل الرق ،

ليعود بأكبر فائدة محققة النفع على المستعبدين وأصحاب القوة . إذن لم يكن تحرير العبيد تحريراً بالفعل ؛ بل تحريراً بالاعتبار . اعتبر الرقيق حراً ، فقيل بأنه حر . ولكن بقيود اقتصادية واجتماعية جعلته في حالة هي أشبه الحالات بالرق والاستعباد . وإن نصت القوانين والمعاهدات على أنه حر .

كذلك كان حال إنجلترا معنا في تصريح ٢٨ فبراير . فلقد صارحنا غرانفيل بأننا أرقاء مستعبدين وأن علينا أن نطيع بلا مناقشة . وصارحنا ادوارد غراي بأن الاحتلال باق إلى الأبد . ورمينا بالحماية في أبان الحرب . فلما انتشع الغبار عن أن هذا النظام لا يعود على إنجلترا بأي نفع مادي اضطرت مجبرة على أن تغيره بنظام آخر قائلة إن الحماية نظام غير مرغوب فيه . والحقيقة أنه غير مرغوب فيه من جانبها كما هو غير مرغوب فيه من جانبنا . لهذا أعلن استقلال مصر مشروطاً على تحفظات فيها كل ما تقتضيه مصالح الامبراطورية الانجليزية من الاحتياطات الضرورية وغير الضرورية .

هذا هو مركز الامبراطورية الانجليزية أراء مصر في تصريح ٢٨ فبراير . غير أن هذا التصريح لم يستغل كل الاستغلال من جانب إنجلترا . انا هي تريد استغلاله بأن تعقد معنا معاهدة دفاعية هجومية ؛ وأن يصبح مركزها في مصر شرعياً بعد أن يكون اغتصاباً . هنا يتحرر العبد نظرياً واعتباراً . ولكنه يبقى عبداً نفعه أكبر من ضرره .

٦ - حملة مرشان : الجنوب أم الشمال ؟

في ذلك العهد الذي لم تكن مصر قد قدمت فيه بعد العون الدولي ، وكانت فرنسا أكبر عضد لمصر في مقاومة النفوذ الانجليزي ، قام الجنرال مرشان الفرنسي بحملة باغت فاشودة ورفعت هنالك الراية الفرنسية . وكانت هذه الخطة لدى الواقع خطة يقصد بها ترويج سياسة فرنسا الاستعمارية . وأقل ما فيها أنها انذار من جانب فرنسا لانجلترا ؛ محصلة أن التنازع على الاستعمار في قلب المستعمرات أمر قد يعود بالفشل على الدول المستعمرة ؛ كما أنه من الجائز أن يستغل من جانب الامم المستعمرة أرضها استغلالاً يؤدي إلى استقلالها استقلالاً فعلياً .

كان من نتاج ذلك أن عقدت معاهدة ١٩٠٤ وبدأت إنجلترا تفكر في أن مصر كما أنه من الجائز أن تغزى من الشمال فكذلك من الجائز أن تغزى من الجنوب . وكان بجوارها في السودان فرنسا من الغرب وألمانيا في الجنوب الشرقي . وإن إنجلترا لتعلم ماهي ألمانيا وما هي المخاطر التي تتعرض لها إنجلترا في مصر أن استطاع جيش مدرب على النظام الحديث أن يثبت أقدامه على شاطئ النيل في الجنوب .

لهذا عملت إنجلترا على أن تنفرد بالسودان فضربت بمعاهدة ١٨٩٩ عرض الأفق الأوسع واستقلت بالسودان دون مصر . وكان هذا الاعتداء الجديد نتيجة لحوادث ماضية ، ولتفكير طويل في أيهما أنسب للدفاع عن مصر الشمال أم الجنوب ؟ كلاهما مناسب ، وكلاهما ضروري . فالسودان من الجنوب والاسطول في الشمال . وأحيط بمصر ، فأصبحت كالمعصم يحيط به السوار

٧ - النتيجة : موقفنا الآن

الامر بسيط جدا ، والموقف على دقته بين جلي . أمة ضعيفة تقع أرضها في طريق أكبر أمبراطورية تعضدها عصبة الأمم وكل دول أوروبا ، لا يمكن أن تنال بالمفاوضة استقلالاً . بل كل ما يمكن هو الوصول الى تعديل في الموقف السياسي يقلل من ضغط الغاصب زماناً محدوداً . حتى اذا تغيرت الاحوال واحتاج الامر مع تغييرها الى تعديل جديد ، رجع الضغط السياسي بنسبة ما تقتضى الحال ، ليفوز الأقوى بالتعديل الذي يرغب فيه ، ويتمشى مع مصالحه .

بوليطيقوس

نظرية الغدد

ونأثيرها علميا في تجديد الشباب

حديث مع الدكتور فرونوف (١)

النظرية قديمة - الغدد والحياة - ماذا يعنى علميا بالشيخوخة - تجديد الشباب - لاخوف من الفرائز الحيوانية

١ - النظرية قديمة

يعتقد الناس أن في مقررات الدكتور فرونوف وتجاريبه وعملياته العديدة شيئا خارجا عن منطوق العلم الحديث. بل شيئا فيه ريح الانقلاب والثورة على نظريات مقررة ومبادئ مسلم بها ، وانها في مجموعها بعيدة عما يشتغل به الطبيب المعالج باعتباره رجلا علميا بعيدا عن الاحتكاك بالبحث العلمى الصرف . غير أن دكتور فرونوف قد أعلن في صراحة بان النظريات التى بنى عليها طريقته ليس فيها شيء يستشمن منه ريح الثورة والخروج على ما كان مقررًا من النظريات ، وقليل منها ما هو جديد لم يكن معروفا من قبل . بل قال بان العمليات التى يجريها ليست الا تطبيقًا لمبادئ كانت قد تقررت ، ونظريات اعتقد كثير من الناس بصحتها ، وذاعت حقائقها بين الباحثين .

ان العملية الجراحية التى تدعى «عملية الغدة القردية» Monkey-gland operation كما قال دكتور فورنوف ، هى صورة جديدة تطور اليها ما كان معروفا من قبل بعملية «الابوتيرابى» Opothrapy - أما تأثير الغدد فى الجهاز العضوى ، فقد عرف منذ أزمان طويلة . قال دكتور فورنوف .

« يوجد فى الجسم الحى ، ماعدا الاعضاء التى تضبط سير النظام العقلى والدورى والتنفسى وكثير من الخصائص الاخرى ، أعضاء تؤثر فى هذه الانظمة

(١) حادث احد مكاتبي المصحف الانجليزية الراقية الدكتور فرونوف فى تطبيقه نظرية الغدد تطبيقا علميا فادلى اليه برأيه فى صراحة وقد آثرنا أن ننقل لقراء المصور هذا الحديث ليقفوا على شئ من أغرب ما اهتدى اليه العلم الحديث فى نظريات الحياة .

بواسطة مواد عضوية تغذى بها جهاز الدورة الدموية . وبهذه الطريقة نجد أن تلك الأعضاء يمكنها أن تؤثر في أجزاء من الجسم حتى يكون موقعها العضوى بعيداً عن مركز الأعضاء المؤثرة ذاتها ، أو تؤثر في مجموع الجسم الحى » .
وهذه الأعضاء ليست بشئ سوى الغدد . ولقد عرف منذ زمان طويل بأن هذه الغدد من طريق افرازاتها الداخلية ، تؤثر في تطور الخلايا الحية ، ذلك التطور العضوى الذى تعود اليه صحة الجسم فى مجموعه .

* *

٢ - الغدد والحياة

منذ سنة ١٨٨٩ استكشف العلامة « برون سكار » الفرنسى ، وكان يدعى خالق فن « الاوپوتيرابى » أن هذه الافرازات فى الجسم الانسانى هى بذاتها فى الاجسام الحيوانية ، وبذلك وصل الى فكرة أن يعالج الامراض التى يكون منشؤها هزال أو ضعف يصيب غدة من هذه الغدد أو عيباً منها ، بأن يعطى المريض خلاصة مستخرجة من نفس الغدة فى حيوان سليم من المرض . وعلى هذه القاعدة استعمل « اليبسين » سنوات عديدة دواء لمرض الدسبسيا Dypsepsia أى التخمة أو سوء الهضم — ايموض به عن نقص العصير المعدى فى معدة المصاب بالمرض ، كما استعمل نخاع العظم علاجاً لفقر الدم — الانيميا - Anaemia

أما أظهر النتائج التى وصل اليها علم الطب فقد حدثت فى المرض المسعى ميكسوديميا - Myxoedema الذى يحدث من هزال يصيب الغدة الدرقية - Thyroid gland

قال دكتور فورنوف :

« ان مثل الغدة الدرقية كمثل سداة مضیئة للمخ » .
والاطفال الذين يولدون بغير غدة درقية يكونون بلباء أو مصابين بالعتة والذين يصابون بمرض « الميكسوديميا » أحسن منهم حالاً ، حتى أنك لتجد أن وجوههم غير ذات ألقة ، ولا تقع على تعبير ما فى تقاطيعهم ، وكلامهم بطىء .

وأن أيديهم مشوهة ؛ وقد تكون شبيهة بالمنجل ، وأن دورتهم الدموية بطيئة .
ولقد ظهر علمياً أن خلاصة الغدة الدرقية علاج واف لمثل هذه الحالات . غير أن
دكتور فورنوف يعتقد بأن الأطباء - « إذا أرادوا أن يحاكوا عمل الطبيعة
وينهجوا منهجها ، وجب عليهم أن يكرروا إعطاء هذه المادة في جرعات صغيرة
متوالية مدى حياة المريض » . وهو فوق ذلك يوقن بأن الإقلاع عن هذه الطريقة
الطبيعية كان سبباً في أن استخدام طريقة « برون بيكار » لم تنتج كل الآمال
التي عقدها عليها الباحثون . أما ماضن النجاح لطريقة دكتور فورنوف فهو
إدخال طريقة «التطعيم» في العلاج ، التي استبدلت بها طريقة استعمال الخلاصات
الغدية في صورة أقراص تزدد ، بأخذ غدة حية في حالة جيدة « وتطعيم » الجسم
بها لتقوم مقام الغدة الدرقية

*
*
*

٣ - ماذا يعنى بالشيخوخة علمياً

الى هذا الحد ظل عمل دكتور فورنوف عبارة عن تطبيق مبدأ بيولوجى
عرف خطره من قبل غير أنه لم يصل الى هذا الحد ؛ الا ليبدأ بوضع نظرية في
سبب الضعف الشيخوخى Senility من الظاهر حتى الآن أنها لم تفرز بعد بقبول
عام . ويرجح فورنوف أن إحدى الغدد قد وضعت على أن تفرز مادة تنبه ما في
خلايا الجسم حيويته الطبيعية . فإذا صح هذا ، تصبح الشيخوخة ، وبالأحرى
الضعف الشيخوخى ، راجعاً الى أن هذه الغدة قد تعطلت عن القيام بخصائصها
وهذا يدل دلالة واضحة على أن قدرة الغدة على القيام بوظيفتها مقدور في الحقيقة
الى قدر خاص من العمر . فإذا انحصر في هذا تأثير الغدة الدرقية وضح لنا أن
كل من يتقدمون في العمر لابد من أن يصيبهم العته على مر الزمان ، اذا ما تعطل
تأثير الغدة الدرقية ، ولا بد أيضاً من أن يحدث الموت سريعاً بعد ذلك بسبب
الرجفات السكرازية التي يتوالى حدوثها في مثل هذه الحالات . هذا في الغدة
الدرقية . اما الغدة النخامية ، فإذا أصابها الهزال ولم تصبح قادرة على القيام
بوظيفتها عند بلوغ حد معين من العمر ، فإن الموت يحدث سريعاً ، بسبب

ما يحدث من تأجيل دورات التنفس والنحطاط الاحترار - Temperature وغير ذلك من الاسباب .

قال دكتور فورونوف :

« في حالات التقدم في العمر ، تبقى هذه الغدد قائمة بوظيفتها ، ولكن بضعف وهبوط عام بغير شك ، ولا تتعطل الاعضاء عن تزويد الجسم بملك الافرازات التي هي ضرورية للحياة . ولا يعدو هذه القاعدة سوى غدة واحدة من الغدد الكثيرة التي يحتوى عليها الجسم . تلك هي الغدة التناسلية . فهل لنا أن نعتقد بان هذه الحالة نقطة ابتداء لتتابع البحوث من طريقها ؟ »



- ٤ - تجريد الشبَاب

نعم يصح أن نتخذ حالة الغدة التناسلية مبدأ لتتابع منه البحث ، ولا جرم أن على هذا المبدأ تقوم طريقة الدكتور فورونوف العملية . فان عملياته الجراحية التي جدد بها الشباب انما تنحصر في أن « يطعم » جسم المريض بغدة تناسلية تؤخذ من فرد صحيح البنية . وهو يستمسك بصلاية بفكرة أن هذه العملية لا تعيد الى الرجل النشاط التناسلي في كل الحالات ، أما ما يؤكد دكتور فورونوف انه يترتب حتما على هذه العملية فتغير طبيعي فزيولوجي يحسن من حالة المريض تحسينا يذكر . وقد اتضح من طريق تجربته هذه ان حيوية الخلايا الجسمية والخية تتوقف بالاكثر على الافرازات الداخلية التي تزود بها هذه الغدد الجسم الحى .

وهو على تمام الاقتناع بان مرضاه بعد القيام بهذه العملية يصبحون أكثر مقدرة ونشاطاً عقلياً وجسمانياً . وبالأحرى يعتقد بان شبابهم قد « تجدد » . ويقول فوق هذا بان هذه العملية يجب أن تعمل بعد أن يجوز الانسان « متوسط عمره » . على أن اصطلاح « متوسط العمر » يختلف باختلاف الاشخاص . فمنهم من يبلغ متوسط العمر وهو في شرح شبابه ، ومنهم من يبلغه وهو في الاربعين أو الخامسة والاربعين .

وفضلا عن هذا فان عملية التطعيم بالغدد قد عملت أكثر من مرة في جسم

واحد ، كما يقول فورونوف . أما اجراؤها لثالث مرة فلم تجرب الا في كبش كبير السن .

وذكر دكتور فورونوف أن نسبة نجاح عملياته في ١٣٠٠ مريض كبيرة تدعو الى التفاؤل الكثير . ولم تمتد علاقته بكثير من مرضاه مدة طويلة بعد العملية . وأن الاكثرية منهم لم يكتبوا له ، بل ولم يعودوا اليه ليستشيروه في شيء مما يدل على ان حالهم قد تحسنت وانهم لم يعودوا في حاجة اليه .



٥ - كحرف من الغرائز الحيوانية

من البين أن هذه النظرية ، مادامت قد فهمت فهماً جيداً ، فليس هنالك من خوف في أن يترتب على التطعيم بغدة حيوانية أن تنتقل الى الجسم المطعم غرائز الحيوان الذي تؤخذ منه مادة التطعيم . انما ينتقل الى الجسم المطعم خصائص العضو الذي يطعم به لا غير ، وذلك ليساعد الجسم على القيام بوظائفه الطبيعية ، ولا علاقة لذلك بالغرائز مطلقاً . فاذا طعمنا حصاناً أصابه هزال الشيخوخة بغدة درقية تؤخذ من انسان ، فلا يترتب على هذا أن يصبح الحصان القادرة على التفكير كما يفعل الانسان ، بل كل ما يترتب على هذه العملية هو ان تساعد دقائق المخ في الحصان على أن تقوم بوظيفتها حسب كفايتها الطبيعية لا غير .

بهذا تعود الحيوية الى الخلايا ، فيصبح الحصان أكثر صحة وأقوى بنية . ولكن هذا لا ينقله عن اقمه الحيوانى قيد أنملة .

العاصفة

حدثني صديق لي عن قصة غرامية أشعر بدافع غريب ، يدفعني للذهاب .
المؤثرة . قال :

في ١٥ أيلول ١٩٢١ تزحت عن بيروت ميمماً شطراً حيفاً . وكان لي فيها صديق عرفني الى كثير من العائلات .
وكان هو يتردد على عائلة مؤلفة من زوج وزوجة .
فقلتني بابتسامة كئيبة عذبة . وجلستنا
تتجاذب أطراف الحديث ، فرأيتها تألمة
لا تعلم ما يحيط بها ، ثم حدثتني في بحزن
وحنو وامتلات عينها بالدموع ...
فشعرت بأن النار تتأجج في قلبي ،
وتنهدت هامساً :

ف ذات يوم زرنا هذه العائلة . وجعلنا
نتردد عليها بالزيارة حيناً بعد حين . حتى
تمكنت أواصر الصداقة بيني وبينها .
فغدوت أزورها منفرداً .
— مابك ياسيدتي ؟
— ؟ ...
— بم تشعرين ؟ ...
— يربك قولي ! لقد جرححت

وكانت أول زيارة . أصل شقائي
وشقاء الزوجة الشابة الجميلة ، اذ حين
وقع نظر كل منا على الآخر . شعر بتيار
كهربائي يسري في عروقه ...
علمت بتلك السيدة . وكانت هي
لا تقل عني غراماً . حتى غدت تنظر الي
بكآبة ورفق . كأن يقابها سر ، تود
إفشائه إلى .
— حنانيك ! مم تشكين ؟
فرمقتني بنفخة ذابلة كئيبة .
— ؟ ...
— رحماك يا الله ! ... لا تسليني

مضى على ماينيف على عشرة أيام ياسيدتي ...
وأنا أشعر أن حبها ينمو في قلبي ، فذهبت
اليها يوماً . على غير موعد الزيارة ، وأنا
— جرححت قلبك دموعي ؟ أحياناً !
— لم ذلك ؟ ...
— رحماك يا الله ! ... لا تسليني

مضى على ماينيف على عشرة أيام ياسيدتي ...
وأنا أشعر أن حبها ينمو في قلبي ، فذهبت
اليها يوماً . على غير موعد الزيارة ، وأنا
— لا أتلق سيدتي ، يا صديقي العزيز
— ماذا أقول اذن ؟

- قل رباہ ! . . . رفقاً ! . . .
 أشفق على
 وغطت وجهها بيديها ، وجعلت
 تبكي خيفة ، فهتفت :
 - سيدتى ! دعيني أم لك ما بك .
 ولم تبكين ؟ ! . . .
 فنظرت الى تعنفنى لقولى لها ثانية :
 « سيدتى » . ففطنت لذلك :
 - قولى ما بك يا إيفون ؟
 - ما بى ! . . . لا أعلم
 يا عزيزى جورج
 ودرمتنى بنظرة قاسية تؤنبنى
 لتجاهلى .
 - لا تكلمين ! وأنا لا أعلم . فمن
 يعلم إذن ؟ ! . . .
 - كلانا . . .
 - كلانا ! . . .
 - ربما . . .
 وأغرورقت عيناها بالدموع .
 حتى أبكتنى . ثم قالت متسعدة :
 - لماذا يريد الله عذابى ؟
 - لانه يريد عذابى
 - هل تتألم لألمى ؟
 - كفى رحماك !
 واقتربت منها أودضمها لصدري
- فرمتنى بنظرة ترسل :
 - اذا كنت تحببى حقاً . أرجوك
 ألا تدن منى . . .
 - رحماك يا الله ! ولماذا يا عزيزتى ؟!
 - آه ! إنى شقية يا حبيبى . .
 وتلك أول مرة تدعونى بها
 « حبيبى » فتيقنت أنها تحببى حباً
 صادقاً .
 - ولم ذلك يا حبيبتى ؟!
 - أنت تعلم أنى متزوجة ، وأظنك
 فهمت . . .
 - أنا أعلم ، وما علاقة ذلك بحبنا ؟
 أما علمت أن لا شئ يحول دون الحب . .
 - أجل . الا الواجبات الزوجية
 يا صديقى ، فأنت ترى أنى بائسة بحبك ،
 فياليتنى لم أعرفك ، لقد أدخلت الحزن
 على قلبى ، والالم الى نفسى ، والشقاء
 الى بيتى ، إذ أن واجباتى الزوجية ،
 تصدنى عن حبك ، لأنى أسمع صوتاً
 فى داخلى يسادىنى : « وزوجك » !
 ولكنى أسمع همساً من أعماقى بهتف :
 « وقلبك » ! آه ! لقد أصبحت بين
 عاصفتين عظيمتين ، وليس لى طاقة
 على احتمالها أو صدها ! فارحنى ! .
 واستغرقت باكية فخرنت لها ،

- أنا لا أستطيع أن أتصور أن
حبيبتي تمنعني عن تقبيلها ! ..
- يجب أن تتصور . لاسيما متى
كانت هذه الحبيبة متزوجة ..

- ماهذه الفلسفة ؟
- انها ليست فلسفة بل فضيلة ..
- ماهذه السفاسف !

- بل قل انها حقائق
ثم اترمت على مقعد منتحبة ،
فاحترمت دموعها ، وعفافها ، ورجعت
فوراً على أعقابى

* *

ولبثت أزورها ، ونحن على هذه
الحال ؛ حتى عيل صبرنا ؛ فاقتربت
منها يوماً أريد تقبيلها . فتراجعت الى
الوراء .

- ارجع ! . واياك أن تقرب !
فلم أحفل بها ؛ وعانقتها لاضمها
الى صدرى ، فصاحت :
- ان فعلت اصرخ .

فرجعت حزيناً أبكى ، فبكت
لبكائى

وكنيت كما زرتها ، يجلس كل منا
على مقعد ؛ بعيداً عن رفيقه قليلاً ولا
تتكلم الا غراراً ؛ وكانت تصرف معظم

وودعتها ، عساي أن أخفف من وطأة
ألمها ، واحتراما لعواطفها ، وفضيلاتها .
وبعد ثلاثة أيام زرتها ، وكان
المشهد مؤثراً ، إذ كانت تود أن ترمى
على عنقي ، ولكنها وجدت شيئاً يصدها
فاكتفت بمصافحتي ، ذاهلة ، ضاغطة
على يدي ، بكل قواها .

- عساك كنت سعيدة ، وهادئة
كل هذه المدة ، يا ايفون ؟
- كنت أشقى خلق الله ، اذ وقعت
في عراك نفسى عظيم صدمنى صدمة
قوية ، وقعت على الاثر منهوكة القوى .
- لا تجعلى الالم يتسرب الى قلبك
ولا تستسلمى الى اليأس .

- أحبك ! ولكنى لا أستطيع أن
استرسل فى هذا الحب ..
- وما يمنعك ؟

- واجباتى الزوجية
- هل تسمحين لى بقبلة ؟
- رحماك ! .. لا !
- عجباً ! ..

- أحبك ! ولكن لا تقرب الى ؛
لانى متزوجة ..

- فما هذا الحب !
- هذا هو الحب !

الوقت بالنظر إلى وهي تبكي ..

وكنا يومًا على الشرفة؛ في منتصف الليل، وكان القمر يرى بأشعته الفضية على وجهها؛ فيزيده جمالًا؛ فقلت لها؛ - وبعد ذلك

- هذا هو الحب متى كانت الحبيبة متزوجة

- هلا ترالين تتكلمين في قلعة الحب؟

- هذه حقيقة راهنة؛ يا صديقي، ولم لا تعترف بها؟

- يالك من قاضلة، مخلصه؛ يا حبيبتي، ترعى عهودها الزوجية، وترعى عهود الحب في وقت واحد.

- ان الله يعذبني أكثر من طاقتي وأظن هذا كثير على ..

وأدارت وجهها عني؛ ثم حدثت بعينيهما فوجدتهما مغمورتين بالدموع

- هلا ترالين تبكين! ارحمني نفسك وارحميني؛ ودعيني أقبلك الآن

وأضمد جرح قلبك الدامي

- حنانيك

- ايفون!

- جورج!

- ماهذا العناد؟

وتقدمت إليها لاضمها إلى قلبي؛ ففتفت بأكية.

- اذا قبلتني رميت بنفسي من الشرفة

فتراجعت معجبا بعفافها وشدة تمسكها بواجباتها الزوجية، وفرط حبها لي؛ فتركها راثيا لخالي وحالها.

...

وفي اليوم التالي وردت على برقية مستعجلة؛ تضطرنني للحضور إلى بيروت فلم يسمح لي الوقت لوداعها؛ فرجعت إلى بيروت؛ وفي القلب لوعات ..

ثم جعلت انتهز الفرص، لأعود إليها؛ فسافرت بعد ثلاثة أشهر إلى حيفا وفي المساء، ذهبت لمنزلها، وبني شوق وحب يستحيل تصويرهما؛ فقابلني زوجها بابتسامة كئيبة؛ فسألته عنها، وقلبي يخفق بشدة، فأجاب مطرقا، وقد تناثرت دموع حارة على خده:

- مسكينة ايفون ... لقد

ماتت

بيروت

منير الحسامي

الثورة

الثورة لفظة مخيفة تلقى الرعب في قلب من يسمعها ، ويحسب الراغب في نطقها حساباً كبيراً قبل ان تلفظها شفتاه . يقولون ان الثورة هي الخراب ، هي الهدم ، هي الفوضى ، وهذا مالا يمكن نكرانه . ولكن يجب ان نعلم بانها لا تهدم ولا تخرب الاكل بالعتيق مضر من النظريات التي ثبت عدم صلاحيتها للبقاء . واما الفوضى فوقتية . وليست أكثر من رد فعل عنيف ومظاهر للانتقال من حال سيئة الى حال أحسن أو أقل سوءا .

وانك اذا شاهدت قصة تمثل على اللوحة البيضاء تجد الحوادث تمر أمامك متتابعة ، فيها الطيب والردى والخير والشر والجمال والبشاعة . أمور تحتاج الى عدة سنين أو أجيال لتمثل فيها بهوادة على مسرح الحياة . فهذه المناظر لا تمر أمام عينيك متكئة متباطئة حتى ترى الجريمة الواحدة ترتكب فتأنف منها . ثم ترى الثواب المفرد فتسرله ، بل تجد حوادث الجيل تمر سراعاً بما فيها من جرائم ، فيجتذب نظرك ، لسوء الحظ ، ما يتف شعر رأسك لدى رؤيته هولاً ، فتختفى من صفحة مخيلتك مظاهر الانسانية كنتيجة لتلك الرهبة لقلبك وهكذا تتناسى الحسنات تماماً فالثورة لا تخرج عن كونها منظرًا سينميا يعكسه المخرج أمامك على الستار الفضي بسرعة متناهية للغاية . فتتمر حوادثها على صفحات التاريخ . ولسوء الحظ لا يستلفت نظرك وانت تقرأها الا ماسطر فيها بالمداد الاحمر ، فترهب . حوادثها جملة وتجزع . وهل يوجد ما يستلفت النظر أكثر مما يستدعى الخوف ؟

لم نستنكر مثلاً حدوث مذبحه ضحى فيها عشرة آلاف شخص إبان ثورة هي في ذاتها تكديس لحوادث جيل أو أكثر في مدة قصيرة ، مع اننا لوراقبنا الحياة العادية نجد ان الجرائم التي ترتكب خلال الجيل الواحد تزيد كثيراً عما اقترف إبان تلك المجزرة التي تتخطى فترتها ابناء ذلك الجيل ؟ اليس الثورة وثبة من قرن الى قرن ؟ اليس هي خطوة تمر بها الامة على عشرات من السنين تغفلها تماماً فتمحوها من صفحات التاريخ ؟

الثورة هدم — هكذا يقولون — والهدم عدو التفكير ووليد الجنون .

كلا . فالهدم ابن العزيمة . ونتيجة التفكير الطويل . وإعمال الفكرة . فلا شك أن الثورة لا تهب إلا لأصلاح الخطأ ودرأ الخطر . فالثورة بنت الاقناع اللاشعورى الذى يحتاج الى وقت والى براهين حسية ملموسة . وكل شخص لا يقدر على الثورة بل وكل أمة لا تتحرك لها إلا بعد أن تختمر مبادئها تماماً فى عقول أفرادها . أن الثورة لا تقوم عفواً وبلا تفكير ، ولكنه البناء هو الذى يتم بهذه الطريقة لانه من اختصاص الطبيعة البشرية التى تعمل بانانية لتنفيذ ما تراه صالحاً ومفيداً لها شخصياً ، متغاضية تماماً عن الصالح العام . فهى بعكس الثورة التى يناضل فيها الكل عن حقه الملهضوم . وينتج عن ذلك مع الأسف العمل للتغلب بالقوة على كل محاولة يحاول بها الانانيون الاحتفاظ بما استباحوه لانفسهم . وبالطبع ينتج عن هذا الصدام وقوع مجازر تعمل فى أعناق المتفرجين والكسالى المستبدين . وفى الثورة يغلب الحماس فى صدور الفئة الغالبة الذين كانوا من المستضعفين فيظهر الرجل العادى بالمظهر الخلق به كأنسان مفكر له عزة نفس . وله حق فى نعيم الحياة يطالب به . وهكذا يتيسر للمجموع القضاء على النظام المضر . فيتنفس الصعداء بعد أن شعر بثقل الاستعباد . وقد أزيل عن كاهله فيرجع الى مرضه متتبعاً لحوادث وتأخذ الطبيعة البشرية الاثيمة تعمل (غير منظمة) فى الاشادة على نظريات جديدة أولاً بتعقل و باجتراس . ثم لا تلبث حتى تتغلب عليها المطامع وقصر النظر فينفض الليث عن ذاته سلطان النوم ثانية . ويضرب معالم الشر بكفه ضربة قاضية يرجع بعدها الى الاستكانة .

وتعود الطبيعة البشرية الى الاشادة مرة أخرى مندفعة بغيريتها العمياء مسترشدة بأراء جديدة وهكذا كلما ثبت فساد النظام قضى الجمع على النظام بأكمله وتتبع ذلك الاشادة من جديد على أسس أرقى وتعاليم اسعى هكذا كان الحال فى جميع الثورات التى انتابت العالم . فاقراً سطورها كلها

ولا تقتصر على سطورها الحمراء

تطراً على الامم فترات تستسلم فيها الى نعاس عميق لا ينبهها منه الا رجة

عنيفة يسمونها الثورة. فاذا لم تجتجح حياة الامة عدة ثورات هالكت ، وذهبت مع
الامم الغابرة في عالم النسيان

الثورة عملية جراحية يستأصل بها العضو غير المفيد من الامة، فتعود للجسد
بعد ذلك نضارته

وايست الثورة هي المسلحة دائماً بل هناك ثورات فكرية سلمية تحتاج الافكار
القديمة فتتقضى عليها

ومن مظاهر الثورة التوضحية (حتى الثورات السلمية) وأكبر عامل على ذلك
هو تلبية الدهماء لندائها قبل غيرهم فان الذي لا يملك ما يرغب المحافظة عليه يسرع
الى العمل بأمل نوال شيء من المساواة على الاقل

لنحاول تطبيق ما سبق ذكره على ثورة تحرير المرأة في العالم الاسلامي بنوع
خاص . وفي العالم العربي بوجه عام، فنقول ان الحجاب أصبح غير صالح للعصر الحالى
وقد شعر الكل بذلك. فالشاب أصبح لا يجد له شريكة موافقة لحياته . والاب
أصبح بعد الابنة عالة عليه طول حياته ، والزوج يخاف عاقبة امرأته اذا توفى
دون ان يترك مالا يسد حاجاتها حتى الضرورية، والاخ يحمل هم مستقبل اخوانه .
فالمرأة بفضل النظام القديم أصبحت عالة على الرجل لا يعرف كيف يقوم باودها
وهو عاجز عن ملافاة ما يحتاج اليه هو وعائلته الخاصة المسئول عقلا وعرفا عنها

ففكر قاسم أمين وفكر غيره - أجل . فكم وافي دفع الضرر الاقتصادي
الذى سوف ينتج عن وجود نصف الامة بلا عمل يعولهم نصف الامة الاخر ،
وفي دفع الضرر الوطنى الذى سوف ينتج بتخلى الناس عن نساء الوطن الى غيرهن
من اللاتى هن أكثر ثقافة وأصلح من المصريات للقيام بإدارة شئون المنزل وتربية
الاطفال ، وفي دفع الضرر الاخلاقى الذى كان منتظرا حدوثه اذا اضطر ذوو النساء
العاجزات عن العمل على التخلّى عنهن، فلا يجدن سبيلا أمامهن للعيش الا ببيع
العرض . ومن ينكر ان النظام القديم لم يكن يؤهل المرأة الا لتكون للرجل اداة
للذة لا أكثر؟ فالمرأة حسب النظام القديم، لم تكن الا وعاء يملكه الرجل لقضاء
ضرورة . وكانت المرأة معتمدة تمام الاعتماد على الرجل ليطعمها ثمنا لما تسببه له

من اللذة . ليست المرأة التي ليس لها عمل خير الاجتهاد في التزين والتجميل لتنال حظوة لدى الرجل كي تنعم في ظلالها بما هو حق لها بالاقبل كحيوان يحتاج الى الطعام والى الكساء والى المأوى لكي يحافظ على حياته . تماثل تلك التي تبيع ذاتها لكل طالب ؟

وشعرت النساء بأنهن بتن مهددات بالاجنبيات ولم يجدن لهن أملا في حياة هنية ، فأظهرن التمرد وجاهرن بعدم الموافقة على مجريات الحال . ولما كان صوتهن خافتا لا يصل الى أذن كل انسان عاونهن البعيد والنظر من الرجال على تحرير ذاتهن رغبة في ملافة الكارثة المنتظرة

وحدث ان ضاق صدر بعض النساء للضغط الذي أحاط بهن فهزأن من فكرة التفريق بين ان يكن ملكا للرجل وفقا لاصول مرعية ، وبين ان يكن له أيا كان مادمن يبذلن أنفسهن من أجل العيش ، فلم يهتمن بحكم الوسط الناس

وكان أول من لبى الدعوة للثورة ضد القديم . هؤلاء التعيسات ، فتسبب عن ذلك تقهقر الحافظات وحبهن . ولكن هو الضغط الذي يدفع الشخص الى ارتكاب الصعب دون ان يهتم ، فاقد من بعد تردد طويل . والآن ابحتوا حال هؤلاء المتبرجات تجدوهن لا يعرفن لهن صناعة يأكلن منها الا ان يكن اداة للذة . فلم يسهلن جهدهن لاقتناص سبيد يطعمهن من فضالاته ؟ واما الرجل فلا أمل في صيده الا بحبائل تجذبه وتقيده وهل هذه الحبائل شيء الا التجميل . وفي اعتقادي ان السبب الاول فيما نسميه انحطاط المرأة . وسفالة الاخلاق هو النظام العتيق الذي اتبعناه أجيالا طويلة . ولم نحاول تطبيقه على سنن التطور . فلو كانت المرأة تعرف ذاتها غير الترغيب في ذاتها لما انحطت الى الدرك الذي نراها فيه اليوم .

فعند ما تستقر الاحوال ويصبح للمرأة عمل غير ذلك العمل المنحط ، تجدها مهتمة أغلب أوقاتها بعملها الذي تعيش منه في الوقت الحاضر .

قد يقول شخص ان نزول المرأة . الى ميدان العمل يدعو الى حفظ الرجال وأنا بدوري أسأل ما الفرق بين ان يأخذ الرجل مبلغا يقتصمه مع آخر ، وبين ان يأخذ قدرا ينفقه على نفسه فقط

وقد يقول قائل ولكن في استقلال المرأة هدم لنظام العائلة كما تفهمه الآن .
وليس لي على ذلك جواب الا القول بان التطور مؤثر في جميع أوجه الاجتماع . وليس
في وجه واحد . فنظام العائلة لاشك سيتغير ويتشكل ولكن كيف ؟ لا أحديدرى .
فهو نظام وضعي . ويجب ملاحظة ان النظام الطبيعي الوحيد سيبقى خالدا مدى
الدهر . وهذا هو نظام صلة المرأة بالرجل . كوسيلة للناسل وابقاء النوع فهذا وحده
الذي سيبقى أبد الدهر ولكن بأي الانظمة ؟
ع . ع .

لوحية الطفرائي

صفحة من الشعر العلمي الحديث

وصلتنا قصيدة عصماء نكتفي بنشر مستهاها
لفريق المقام أملا في أن ينحو علماءنا
المتأدبون على نحوها وينسجوا على منوالها .

قضيت في الكولوج (١)	من مهند الكبيح (٢)
أعوام (اقرأ) في	برنامج الأولوجي (٣)
إن شئت فسالني	أنبيك عن تولوجي (٤)
لكن سأشترط	أن تدفع الداميج (٥)
لو كنت تغضبنى	أو تفقد الكوارج (٦)

.....

كانت	أساتذنا	رهطا من السافيج (٧)
فانلط	« رقعته »	أسموها نفسولوجي (٨)
و « النسخ »	نباتوني (٩)	« والرسم » تظمولوجي (١٠)
والجمع	والطرح	والتضريب أجتولوجي (١١)

فيلسوف عالم وأديب مبتكر

(أولا) كسرت كلمتي ٤ و ٥ لوزن الشعر (نانبا) آخر حروف القصيدة كلها مكسورة
(١) كلية (٢) الكرب (٣) العلم (٤) معرفتي (٥) الاضرار (٦) الشجاعة
٧ المتوخش ٨ علم النفس ٩ علم النبات ١٠ علم العظام ١١ علم تكوين الاجنة والله أعلم .

شأملات في الأدب والحياة



الفوضى القائمة في الأدب العربي ، ليست في الواقع الا صورة من الفوضى العامة التي تملك افكار أهل الشرق بعد الحرب العالمية . غير أني لا أستطيع أن أدلي برأى في فوضى الاقتصاد أو المال ، على الرغم من أني أعتقد بأن الفوضى لم تنف دونهما . كذلك لا أستطيع أن أدلي برأى في فوضى السياسة الشرقية عامة . غير أني ان أردت أن أتخذ للسياسة الشرقية عنواناً هو سياسة مصر ، أيقنت بأن الفوضى في سياسة ممالك الشرق بالغة مداها الاقصى .

كذلك لا أستطيع أن أتكلم في فوضى الأدب بصورة عامة . اذن وجب على أن أحدد موضوعي فأدلي برأبي الذي أراه في فوضى الأدب من حيث تعدد الاساليب .

يعتقد الكثيرون أن مصر مركز النهضة ، أستغفر الله ، لا النهضة الأدبية وحدها ، بل النهضة «العلمية» في انحاء الشرق . ولما يعتقدون هذا الاعتقاد أكبر العذر فيما يعتقدون به . غير أني لا أعرف إذا جاريتهم على اعتقادهم في أي شيء تنحصر مظاهر النهضة العلمية والأدبية في كل شيء . حسن . لنقل معهم في كل شيء تخصاصاً من متاعب البحث . ولكن لننظر في ناحية بعينها من نواحي النهضة الأدبية ، ولندعي بأن من مظاهر النهضة الأدبية تعدد الاساليب العربية .

ان تعدد الاساليب ولا شبهة دليل على الرقي الأدبي وعلى الأكتاب على المطالعة والدرس . غير أني أرى في تعدد الاساليب روحاً فوضوية غريبة . لأن تعدد الاساليب في أول ما يدل عليه ، انتهاج لطرق في التعبير تختلف عن الطرق التي انتهجها القدماء . وهذا حسن الى حد ما . ولكن الفوضى آتية من ناحية أننا لا نبالغ في احتذاء الاساليب العربية المنتقاة . فلكل لغة أساليبها الراقية ولكل منها منالياتها الاسلوبية . وبالقيااس على هذه الاساليب يكون بعدنا أو قربنا من المثل

الغلبا في أسلوبه الانساني . اذا صح هذا ، واذا صح لنا أن نتخذ هذه النظرية قاعدة ، خشيت أن أقول اننا في هذا العصر أبعد عن أن نحتذى الاساليب المنتقاة التي جرى عليها حتى أدباء العصر القريب .

أما نزعة بعض الكتاب الى أخذاء الأسلوب العامي في الكتابة العربية ، ودفاعهم عن هذه الطريقة السفلى ، فلا سبب له عندي ، إلا العجز ، وهم في نظري أكبر الدجاجلة الذين نبتوا في تربة الأدب ، كما تنبت الطفيليات حول الغرس النافع ، بلا حاجة اليها .



في كل ما تقوم عليه المثل العليا في الأخلاق ، وهي التي يظهر أثرها المباشر في العمليات ، لا يحتاج الانسان الى شيء أكثر من أن يفهم معنى التضحية ، وأن يجعل لهذا المعنى أثراً في أعماله وتصرفاته . على أننا مع الاسف لم نعرف بعد ما هي التضحية ولم نفقه كيف يمكننا أن نجعل لها أثراً في أعمالنا .

خذ أبسط الاشياء احتكاكا بالحياة . خذ حب النقد للوصول الى الحقيقة . فانا لم نعرف بعد من النقد الا أنه وسيلة للعداء هي أقرب الوسائل ، وطريقا للتنابذ هي أسهل الطرق . فاذا أردت أن ترمى بالسخرافة فانتقد الأدباء . وإذا أردت أن تؤسم بالجهل فانتقد العلماء . واذا أردت أن تموت جوعاً فانتقد أعمال حزب الأغلبية في مجلس النواب .

الاعتداء الذي توقعه الامم القوية على الامم الضعيفة ، ليس بأكثر من تكرار لفعل طبيعي أتاه الانسان بحكم نزعته الحيوانية عدة ملايين من المرات . فالانسان قبل زمان التاريخ لم يفز بغدائه وبزوجه بل وبحياته نفسها الا من طريق الاعتداء على ما يملك غيره من حق أو حطام . وفي ذاتي أن قول الشاعر « ومن لا يظلم الناس يظلم » فيه تعبير حق عما في الانسان من هذه النزعات الغريبة . وعلى أية من القواعد نحاول اليوم أن نحول دون اعتداء القوى على الضعيف ، وهذا أمر يكاد يكون في حكم السنن الطبيعية الثابتة ؟

غير أننا لا نريد أن نتساءل في هذا . بل نتساءل لماذا يسلم الضعيف بحقه
تسليم تفريط ان كان في استطاعته الدفاع ولو الى حين . أظن أن السبب في هذا
راجع الى أن الضعيف يقدر الحياة أكثر مما يقدر الحق . على أنه لو قدر الحق
ولو قليلا لاستطاع أن يرد كثيراً من عاديات الغاصبين .

من الأشياء الجارية على ألسن الناس ما لو قلبت معناه لخرجت منه بمعنى
فيه روعة جديدة ، بل روعة تبرز روعته الاصلية الجارية على ألسن الناس .
فلتاس قـمـ لون « الحق للقوة » . فإذا قلت مثلاً « القوة للحق » وقعت على معنى
اسمى من المعنى الاول وأجدر بأن يكون المحرك الاول لقوى الجماعات .
على أن كثيراً من الناس يتشككون في المعنى المدرك من قلب الامثال الشائعة .
والسبب في هذا أن الناس بطبيعتهم نزاعون الى التأثير بالماديات . فالقوة مادية
والحق معنوي . لهذا يعتقدون بصحة الاول ولا يدركون للثاني الا معنى مجرداً
غير مائل أمامهم .

كذلك الحال اذا رجعت الى أهل الوثنية وقلت لأحدهم « الصنم في الله »
لرد قولك فوراً بأن « الله في الصنم » . على أن الحقيقة على عكس ذلك تماماً .
وذلك لأنه يدرك المادة ادراك حس ، ولا يدرك الله الا ادراك معنوي . وعلى هذا
قامت الكفايات الانسانية ، وعلى هذا توارثت على مر السنين والاحقاب .

*
*
*

كنت أسير على شاطئ البحر الابيض المتوسط ذات يوم وقد تجمع على
الشاطئ عدد من الاطفال الصغار انقسموا الى جماعات عديدة . فاخذ جماعة
منهم يصورون على الرمال صور حيوانات عديدة . وأخرى في تخطيط
صورة بيت كبير ، وبدأ الاطفال يتنازعون ملكيته . وبدأت جماعة أخرى
تبني من الرمال صور بيوت شبيهة بالبيوت التي يبنيها النمل وكثير من الحشرات .
وبينما كنت أجيل الطرف في الأعيب الأطفال واتأمل فيما ترمى اليه تصوراتهم ،
هاجمتنا موجة كبيرة ذهب مدها الى آخر ما خطت يد الاطفال على الرمال ،

فلم تترك منه عوجاً ولا أمناً . كأنما الرمال للينة قد ابتلعت مع مد الموحة كل ما رسم فوقها من آثار .

أليس في هذه الحلة شبه باغتصاب حق الشعوب قسراً وقوة . أين الأثر الذي خلفه الرومان في أرض بريطانيا العظمى ؟ وأين الأثر الذي تركته مصر في غربي آسيا . وأين الأثر الذي تركه الاسكندر المقدوني فيما فتح من ممالك العالم ؟ وأين أثر القوة التي اغتصبت حقوق الشعوب على مدى الأزمان ؟ أين الأثر الذي خلفه انديال وقبيلز وهولاكو وجنكيزخان ؟ مدت عليهم موجات الحق الطبيعي ، وطمت عليهم فورات الشعوب ؛ فلم يبق من ذلك الا الامم ؛ تتناوبها دورات الانتصار والاذكسار ؛ وهي ثابتة لا تتغير ولا تتبدل .

* *

ليست القوة المادية وحدها دليلاً على تسود الشعوب من حيث الصفات المدنية وان كانت دليلاً لا يدفع على تسودها الحربي . فقد غزى الرومان بلاد اليونان ؛ وكانوا أقل من اليونان كفاية ؛ من حيث المواهب العقلية والأدبية .

من يدرينا اليوم لعل في شعوب الشرق من المواهب الكامنة ما يظهر بعد قليل من الاجيال وأن استعمارها اليوم هذا الاستعمار القائم على القوة وقتل الكفريات كان من أكبر البلايا التي أصابت الانسانية ، وصدمتها عن التقدم والارتقاء .

* *

ذاع الاعتقاد بين الباحثين في الاجتماع ، أن الترف والانغماس في الملذات ، مما يقذف بالامم والشعوب في مهاوى الفساد والانحلال . غير أنني أرى أن الانغماس في الملاذ والترف ، مظاهر تدل على عوامل للانحلال وعناصر للفساد أبعد غوراً في نفوس الافراد والجماعات مما يتخيل لكثيرين من الباحثين .

للسلطان عبد الحميد ، رغم استبداده ورغم ضعف أعصابه والظروف الغريبة التي أحاطت بسني حكمه ، أو بالأحرى الظروف التي خلقها هو من حوله ، كلمات يؤثرها عنه التاريخ . فقد قال مرة ، وقد حوطته أوربا بما استطاعت من قوة

وعنف ، « ان أوروبا تمار بنا حرباً دينية في قالب سياسي » . ولم يقصد عبد الحميد بالضرورة ان أوروبا تمار به حرباً دينية كالحرب التي قامت بين الاسلام والنصرانية في القرون الوسطى وتعرف بالحرب الصليبية . بل يقصد أن أوروبا المسيحية جامعة لا تحتمل أن يكون للشرق الاسلامي سلطة على شعب من شعوبها . على أنه رمى بهذه الكلمة الى غرض آخر . رمى به الى استفزاز المسلمين في أنحاء الشرقين الاقصى والادنى ، ليكثروا جامعة يقاوم بها جامعة أوروبا المسيحية . غير أن صرخته هذه لم تفده فتيلاً . فإن استبداده واستبداد عماله وضعف حكومته وتحكم الصور الدينية الرجعية في ادارة الحكومة كان سبباً من الاسباب التي فتت في عضد الامم الاسلامية التي وقعت تحت حكمه ، وافقدت حكومات الامم الاسلامية المستقلة كل ثقة في حكومة أمير المؤمنين .

واليوم يقوم في روع الناس أن مارمى اليه عبد الحميد أصبح خيلاً ، بعد أن فطنت الامم الى فكرة القومية وتركت الاستجمالك بجامعة الدين . وهذا صحيح . غير انى أرى على الرغم من كل هذا ان جامعة شرقية سياسية تعمل على مقاومة النفوذ الاوروبى والاستعمار الاجنبى يكون لها أثرها الخالد ، لا في استقلال الشعوب الشرقية وحدها ، بل في العمل على ترقية الانسانية في مجموعها .



اذا استطعنا أن نفكر تفكيراً جدياً في تكوين عصبة شرقية سياسية تعمل على تحرير الشعوب الشرقية ، وعمدنا الى تنفيذ هذه الفكرة ، نكون قد خطونا بالفعل خطوة كبيرة نحو العمل فى سبيل استقلال الشرق . أما اذا تكونت العصبة بالفعل ، فقد نقول باننا قطعنا نصف الشوط الى استقلال الشعوب الشرقية .

وأمامنا الآن حكومتان نظن أنهما تحملان أكبر مسؤولية أمام شعوب الشرق ، اذا هى احجمتا عن الدعوة لهذه العصبة . هاتان الحكومتان هما حكومتا فارس والافغان . ولهذه النظرية أسباب كثيرة تؤيدها .

أولاً — انهما الحكومتان المستقلتان فى الشرق ، بعد تركيا .

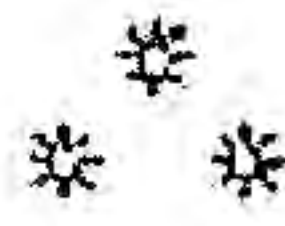
ثانياً — أن موقع بلادهما الجغرافى يجعل مصارعة أوروبا لهما أمراً صعباً ،

على الضد من تركيا. فإن موقع بلادها الجغرافي يفسح المجال لأوروبا فتعمل على تحويرها
بأسباب النزاع والخلاف السياسى والحروب .

ثالثاً — ان لديهما من القوة ما تستطيعان به الدفاع عن حريتهما واستقلالهما .

رابعاً — وذلك أهم الاشياء عندى ، أن شببهم فى الشعوب الحرة بنة التى عرفت
مكائنتهما فى كل عصور التاريخ .

ان عصبة الامم بعد أن انتصر فيها بهذا الاسخريوطى — لويد جورج —
على المسيح الجديد — ويلسون — لابد من أن تقاومها فى الشرق عصبة سياسية
تحمى الشعوب الشرقية قراراتها وتنفذها فى مجرىها بدقة وعناية وتضحية من
الاموال والانس والتمرات ، اذا أراد أهل الشرق أن يقاوموا أوروبا بنفس السلاح
الذى يستخدم فى سبيل استعبادهم .



ولد الشرق ميلاً جديداً يوم أن هب يطالب برد حريته المسلوبة. ويعمل
على احياء مدينته البائدة . غير أن الشرق يحتاج اليوم الى صفات أخلاقية نرى
أن الامم الشرقية أبعد الامم عن أن تعرف لها قيمتها السياسية .

لم يعرف الشرقيون بعد تلك الفضائل التى ينطوى عليها ضبط النفس عند
وقوع الملمات الكبرى . وما أكثر ملمات الشرق .

لم يعرف الشرقيون بعد معنى التضحية عند حلول الازمات ، وما أكثر الازمات
التي تصيب شعوب الشرق .

لم يعرف الشرقيون معنى الصراحة فى معالجة المشكلات التى تحتاج الى الصراحة
الجديّة . وما أكثر المشكلات التى يخلتها الغرب للشرق .

واذا أردنا أن نعدد الاشياء التى لم يعرفها الشرق بعد ، لذهبنا فى سلسلة
طويلة منها . غير أنى أعتقد أن بضعة أفئدة من الرجال يعطون الشرق المثل العليا
فى الاخلاق عملياً ، لقادرون على أن يبعثوا فى النفوس تلك الشرارة الالهية ، التى
لا يستغنى عنها فى توليد حريقه عظمى يمتد لهما .

الزولو جيا

أو

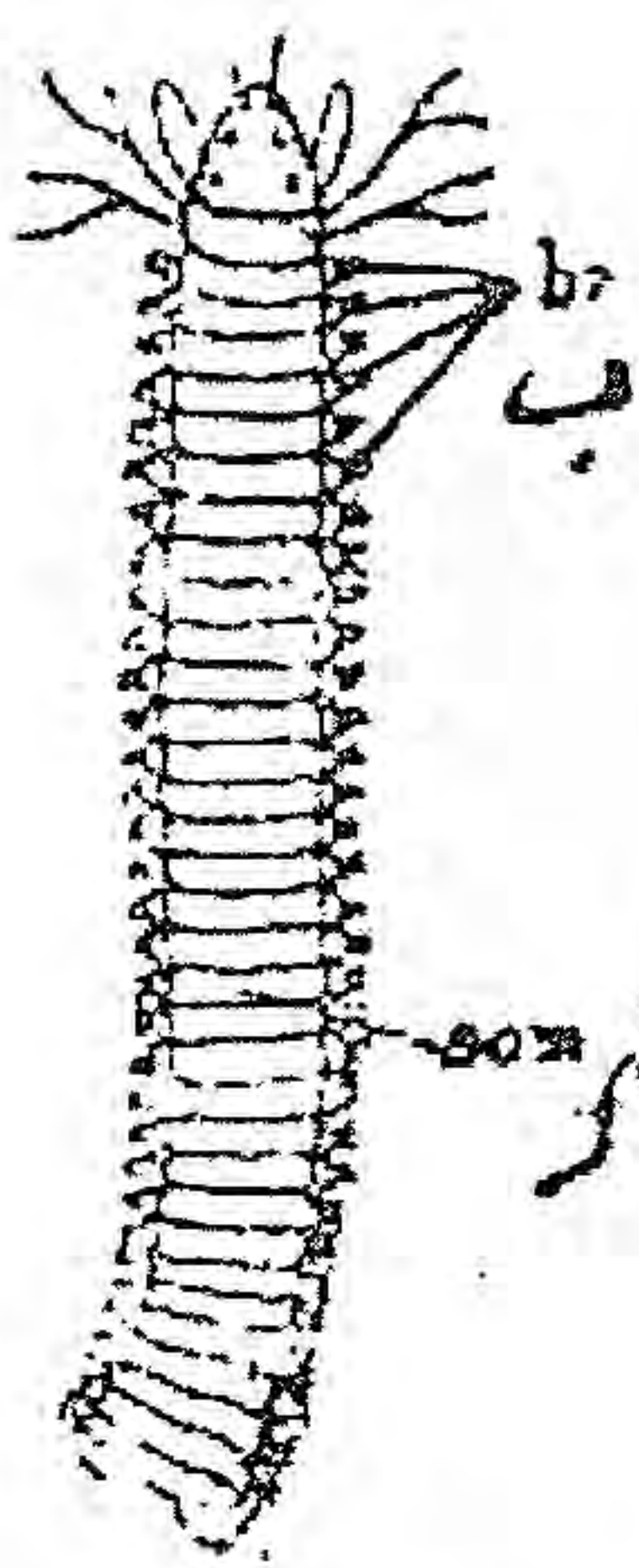
ميادى علم الحيوان

- ٧ -

«*»

تابع تقسيم الحيوانات

هناك «جذع» phylum آخر من الديدان يدعى اصطلاحاً «الانيليدا» Annelidae أى «الديدان الحلقية» Ringed-worms. وهذا الجذع يحوى كل الديدان الارضية المعروفة ، والديدان البحرية على كثرتها وتعدد صورها ، وأخيراً العلق بأنواعه .



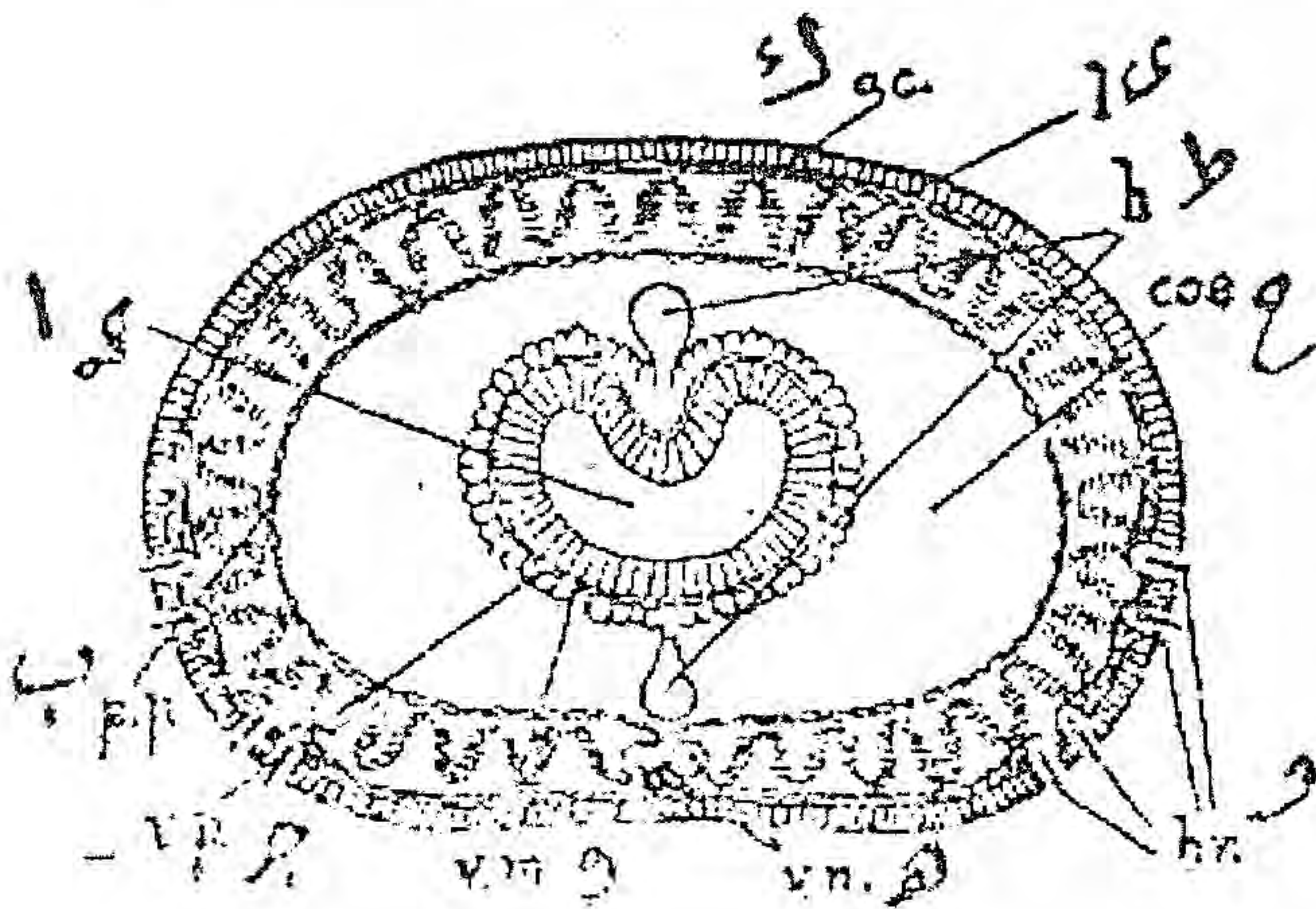
أما الصفة الأساسية في هذه الفصيلة فتكرار أجزاء أو أعضاء متشابهة الأوصاف في سلسلة متتابعة. وهذا النوع من التكرار العضوى له أثر كبير في تركيب الجسم في الحيوانات العليا التابعة لهذا الجذع . ويدعى اصطلاحاً Metamerism أى التشابه التركيبى المتتابع . فإذا نظرنا في جسم دودة من ديدان الارض ، نرى أنها قد قسمت بنظام دائرى الى عدد من الحلقات . وكل من هذه الدوائر تدعى

اصطلاحاً Somite أى حلقة . وفي كل منها نعثر على ثمانى شعرات Bristles . وفي كل من الحلقات «عقدتين» مزدوجتين الدوائر المتتابعة مع شعراتها الثمانية (هـ) من الجهاز العصبى الرئيسى . ولا ريبه في أن تكوين الجهاز حلقة بدنية أو جسمية العصبى في هذه الحيوانات من أخص ما يمتاز به الديدان الحلقية . فانه يتكون من عقدتين مزدوجتين مترابطتين جهد الترابط تستويان فوق الانبوبة أو القناة الهضمية من الامام ، وتدعيان عادة «المخ» Brain ثم سلسلة من العقد المزدوجة

الشديدة الترابط تستوى تحت القناة الهضمية Gut التي تسكون بين الطبقة العضلية والقناة الهضمية ، بحيث لا يزيد ما يوجد في كل من الحلقات عن عقدتين مزدوجتين وهذه العقد السفلى ترتبط بعضها ببعض بواسطة لفائف طويلة من المادة العصبية وتدعى هذه اللفائف اصطلاحاً Commissures أما السلسلة العقدية في مجموعها فتدعى اصطلاحاً Ventral nerve-cord أى الوتر العصبى البطن ، وهذا الوتر يتصل بالمدخ بواسطة « عصب طوقى » Nerve collar أو « طوق عصبى » يكون محيطاً بالقناة الهضمية من الامام . أما الجزء الاسفل من الحيوان فيدعى « البطن » Ventral (من اللاتينية ومعناها بطن) . والجزء الاعلى يدعى « الظهر » Dorsal (من اللاتينية أى ظهر) .

في « الانيليدا » تكثر لأول مرة في تاريخ التطور الحيوانى على ما يدعوه الباحثون « بالفجوة الجسمية الثانوية Secondary body-cavity » ويطلق عليها اصطلاحاً اسم Coelom . وهذه الفجوة تتكون من سلسلة من الفجوات ، واحدة في كل حلقة ، تحيط بالقناة الهضمية Gut وتفصلها عن البشرة .

إذا أردت أن تعرف على وجه التقريب كيف يتسكون الجسم في ديدان الارض ، فخذ أنبوبة زجاجية تمثل لديك الفقاعة الوسطى ، أو الفراغ الاوسط ، وضع من فوق هذه الانبوبة سلسلة من حلقات المطاط الواحدة تلو الاخرى ، ثم ضع فوق الانبوبة بعد ذلك قماشاً يشمها كلها . فلقماش يمثل لك البشرة وحلقات المطاط تمثل لك الفجوات الثانوية . وكما يمكنك أن تدرك بسهولة ، تجد أن حلقات



قطع عبرى لدودة من الانيليدا
(و) الشمرات (ح) الفجوة (ط)
وعاء ددومي (ي) العضلات
(ك) العضلات الدائرية الخارجية
(ب) البريتون الجدارى (د)
عضلة حشوية (هـ) وتر عصبى
أبطن (ج) البريتون الحشوى

المطاط التي نعبر بها عن الفجوات الثانوية ؛ ليست مجرد سلسلة من المقاميع تتوسط بين أعضاء أخرى ، بل تتكون في الحقيقة من سلسلة متتابعة من الاجرابة (جمع جراب) Sacs لكل منها طبقة داخلية وأخرى خارجية . أما الطبقة الخارجية فتجاور البشرة وتدعى اصطلاحاً Parietal peritoneum أى « البريتون الجدارى » ، فى حين أن الطبقة الداخلية تنضغط من ناحية القناة الهضمية ، وتدعى اصطلاحاً Visceral peritoneum ، أى « البريتون الحشوى » ، (نسبة الى الاحشاء) . فعند ما ينمو جسم الدودة ، تتطور الخلايا التى تتكون منها الطبقتان الى ألياف عضلية . فالألياف العضلية التى تتكون من الطبقة الخارجية تنظم فى وضع طولى ، وتكون ما يسمى « بالعضل الجدارى » parietal Musculature . فى حين أن الألياف التى تتكون من الطبقة الداخلية تدعى اصطلاحاً Visceral muscles أى « العضلات الحشوية » .

وفضلاً عن هذا فهناك عضلات دائرية خارجية تستمد من خلايا البشرة التى تقع خارج العضلات الطولية .

أما الفجوة الجسمية الثانوية Coelom فمن خصائصها أنها تساعد القناة الهضمية والبشرة على أن يتحرك كل منهما حركة مستقلة عن حركة الآخر . ومما رأينا فى كل صنف الديدان التى أتينا على ودغها حتى الآن أن الجسم كله يتحرك دفعة واحدة ، على الضد من « الانيايدا » . فأننا يمكننا أن نعتبر أفرادها « كحيوان فى حيوان » لان الحركة التى تسببها القناة الهضمية مستقلة تماماً عن الحركة التى تسببها البشرة . فان عضلات القناة تمضى فى الانقباض الواحدة بعد الاخرى بطريقة تسبب موجة من الانقباض المستمر على طول القناة . وهذه « الموجة الحركية » تدعى اصطلاحاً peristalsis وتأثيرها ينحصر فى أن تدفع الطعام على طول الأنبوبة . على أن موجة حركية كهذه تقع فى العضلات الدائرية ؛ وتأثيرها ينحصر فى أن تدفع المسامع المائى الذى تتضمنه الفجوة من فتحة الى فتحة Segment . ذلك لان الاجرابة الفجوية

يتصل بعضها مع بعض بثقوب صغيرة تقع تحت القناة الهضمية . وهذه « الموجة الحركية الخارجية » Outer peristalsis تزيد من طول الدودة، ويمكنها من أن تدفع مقدمها الى الامام . وعند ما تبدأ حركة الحيوان الى الامام على هذه الصورة ، يثبت مقدم جسم الحيوان بالارض بواسطة شعراته ، ومن ثم يجذب الجسم بانقباض العضلات الطولية . أما الطرف المؤخر من الجسم فيثبت حينئذ في الارض ، وبتكرار فعل الموجة الحركية الخارجية يأخذ مقدم الجسم في الحركة . وفي هذه العملية تنحصر الحركة بمعناها المعروف في هذه الديدان .

ولا يجب أن نغفل عن أن « فجوة جسمية أولية » Primary body-cavity أو بالأحرى سلسلة من « الفراغ الدموي » Body-space تكون في جسم الانليدا فضلا عن الفجوة « الجسمية الثانوية » التي تكلمنا فيها من قبل . أما الفجوة الجسمية الأولية فتأخذ شكل سلسلة من الانابيب المتفرعة تحتوي على السائل الأحمر، وهذه الانابيب موزعة على كل أجزاء الجسم . وهذا السائل الأحمر، هو بالضرورة ما ندعوه « الدم » أو دم الدودة .

ان كل أعضاء هذا « الجذع » تكون في بعض أدوار حياتها من الحيوانات الخافرة . وأغلبها يحفر في الرمال وفي العاين المستقر في قاع البحار ، ولا تبرز هذه الديدان الى السطح إلا بعد أن تنضج خلاياها التناسلية ، وتكون على وشك لفظها بعيداً . وفي هذه الآونة تظهر هذه الحيوانات متكاثرة بحيث لا يحصى عددها ، فتكون طعاما لا ينفذ لسكان جزائر المحيط الهادى ويدعونها « بالولو »

Palolo

أما الخلايا التناسلية فتتكون من جدران أجربة الفجوة الجسمية الثانوية ، وفي بعض حالات قليلة يقطعها الحيوان خارجا بأن ينفجر جسمه انفجاراً . ولكن في أكثر الحالات تظهر في الجسم فتحات تدعى اصطلاحاً Coelomiducts أى « الثقوب التناسلية » Reproductive pores تلفظ منها الخلايا التناسلية .

ولا يعرف حتى الآن أن من « الانليدا » ما يسبب ضرراً للإنسان أو لحيواناته أو لمحاصيله الزراعية . بل على الضد من ذلك ، وكما أثبت العلامة

« داروين » نحب أن « الانيليدا » تعتبر « حارث الارض الطبيعي » الذي يساعد الانسان على الزراعة ، لانها تحفر طريقها في داخل الارض ، وبعد أن تملأ داخل جسمها بالطمى ، تعود الى السطح ، وهناك تفرغ مافي جوفها ، بعد أن تملأه بالطمى من باطن الارض . أما الديدان البحرية فمورد من الغذاء لا ينفد بل هو مورد ضررى لحياة الاسماك التى تغتذى بها .

الذكرى

— من قصيدة غنائية —

أما التى خلفتنى بعد فرقتها	لأشكر « الحب » مكلوماً بذكرها
فما أزال سعيداً حين أذكرها	وما أزال شقيماً حين أهواها
ما كان أرحمها لما نعمت بها	وبعد فرقتها ما كان أقساها
لو كنت اعلم ان الوعد غايته	ان لا تعود وانى بين جرحاها
لكنت آثرت ان افنى معانقها	وان اجود بروحى لاثماً فاهها !

ابو شادى

الصدى ونرجس

من أساطير الميثولوجيا

إليك رواية عذراء أصابها الحزن والاشمئزاز وتملكها الالم والشجن، لأنها كانت تكثر من الكلام والثروة، وكانت تحاول دائماً أن تكون لها الكلمة الأخيرة في كل موضوع شترك في مناقشته أو الكلام فيه. وفي استطاعتك أن تعرف بنفسك إذا كانت هذه الرواية صحيحة وأن تحقق نصيبها من الصواب، إذا اجتازت يوماً نفقاً من الانفاق، أو توغلت في جوف غابة من الغابات الملتفة الأغصان. ألم يقع لك يوماً أن تمر من تحت جسر في إحدى نزهاتك على ظهر النيل الأبدى، وأن ترفع صوتك بالكلام؟ إذا كنت قد فعلت، فلا بد من أن تكون تلك الروح الخيرية التي نسميها «الصدى» والتي تقطن مثل هذه الأماكن المنعزلة، قد رددت ما تفوهت به، وأن تكون قد هزأت بك اذ توهمك بأن شخصاً يعيد عليك ما تقول.

ما أشقى الصدى وما أمر عيشها؟ إنها الآن ليست أكثر من «صوت». غير أنه مر عليها عهد كانت تمرح فيه وترقص في ظلال الغابات المخضوضرة الناضرة، مع غيرها من الخوريات. ولم يكن فيها سوى منقصة واحدة. فأنها كانت كثيرة الكلام، ثرثرة. ومن غريب أمرها أنها كانت تروى ما تقول في قلب يفرى سامعياً بها حتى ينسون الزمان، ويمر عليهم الوقت سراعاً وهم غير شاعرين. وكثيراً ما كانت تهبط «يونو» - Juno - إلى الأرض، وتظل مصغية إلى ما تقول الصدى ساعات تلو ساعات. غير أنها لاحظت يوماً أن الصدى قد أخذت في تسليتها على صورة رغبت من طريقها في أن تسر «جوبتير» - Jupiter، وتحظى به، لأنه كثيراً ما كان يحقق على «يونو» ويحاول أن ينفرد بذاته.

بدأ الحقد يعمل في صدر «يونو» حتى إذا اشتعلت ناره أصبح كراهية شديدة تحترق بين ضلوعها نحو الصدى. ولم تلبث إلا قليلاً حتى انتقمت منها انتقاماً غريباً، بأن أفقدتها قوة النطق، وربطت لسانها عن الكلام. وبذلك أخذت الصدى تكرر آخر المقاطع التي يتفوه بها غيرها. وذلك كل ما تركت لها

« يونو » من قدرة على الكلام .

اما نرجس فتتجمل الطلعة ، سليل آلهين من آلهة الماء . وكان فوق ذلك شجاعاً كبير النفس ، محبوباً أينما حل ، مربوقاً بالتجلة أينما كان . ولكنه كان بلا قلب ، لانه لم يحب في حياته أحداً ، سوى نفسه .

وذات يوم أخذ نرجس يطوف خلال الغابة مع رفقاءه ، ووقف يقتطف زهرة من الزهرات البرية ، فابتعد عنه رفقاؤه ، وافتقدتهم فلم يقف لهم على أثر . وبدأ يفكر في أية طريق يسلك ليصل اليهم ، وبينما هو في حيرته ، مر بجانب شجرة البلوط التي كانت تسكنها « الصدى » .

وفي اللحظة التي وقعت عين الفتاة عليه ، وقعت في شرك حبه وهامت به ، وأخذت تتبع خطواته خلال الغابة ، محاولاً أن تلقى اليه بكلمة تعبر بها عن شعورها . ولكنها كانت غير قادرة على النطق ، عاجزة عن الكلام .

وظلت الصدى على هذه الخطة زماناً ، تتبع نرجس ، بينما هو يشق طريقه بين الأغصان باحثاً عن أصدقائه ، والصدى تتسلسل خفية من ورائه ، حتى اذا ما شعر الفتى أنه ضل طريقه في الغابة الموحشة رفع صوته منادياً :

« أمن أحد هنا » . وعندئذ اختفت الصدى وراء شجرة وكررت قوله - « هنا » .

فأخذ الرعب من الفتى كل مأخذ ، لانه كان يظن نفسه فريداً في جوف الغابة . وأخذ يتلفت يمنة ويسرة ، ولما لم ير أحداً يمكن أن يكون السبب في اصدار هذا الصوت ، صاح - « تعال » ! فاجابته الصدى بنفس الصوت - « تعال » ! !

هنا ملأه خوف وأخذته الوحشة الشديدة . اذ لم ير أحداً ، ومع كل ذلك فكانت كل صيحه من صيحاته تتكرر على نفس الصورة التي تخرج بها من فمه . فمضى يصيح ويسأل ، وكانت الصدى تعيد ما يتلفظ به ، ولم يكن في استطاعتها أن تظهر نفسها لنرجس ، لئلا ينضب أو يفزع ، ولكنها مع ذلك لم تكن قادرة على أن تحبس أنفاسها فلا تجيب بشيء أو تمتنع عن ترديد ما تسمع .

ولما أن ملأ الحلق صدر نرجس صاح « لنجتمع هنا » ! فاجابته الصدى

بذرات ملئت فرحاً وسروراً ، وبرزت من وراء الشجرة لتلاقي من تيممها حبه ،
وشفها غرامه .

فلما بلغت الى حيث كان ، حاولت أن تلتقي بذراعيها حول عنقه الجميل ،
لتعبر له بهذه الوسيلة عن الحب الذي يضطرم بين ضلوعها ، لأنها لم تكن تستطيع
التعبير بالكلام . غير ان نرجساً كان يكره كل الكره أن يظهر له أحد حباً أو
يبثه غراماً . فدفعها عنه بخشونة ، وهرب منها متغلغلا في وحشة الغابات ، والى
أقصى أعماقها الخيفة .

ولقد فعلت نظرات نرجس الجافية فعلها في نفس الصدى ، فاختفت في الغابة
واستترسلت مع أحزانها وأخذت تبكي هر البكاء ليلاً ونهاراً ، حتى لقد منع عالمها
حزنها أن تذوق طعاماً أو تتباعد بشراب . فأخذ وجهها يصفر ، وجسمها ينحل ،
وأخذت تتحول الى خيال ، حتى فنى جسمها وفنى عظامها ، ولم يبق منها الا صوت
يتردد بما يقال

ومنذ ذلك الحين كمننت في جوف الغابات والاما كن الموحشة الساكنة ، فلم
يعد أحد يرى شيئاً من جمالها الفتان . ولا من سوا عدها البضة البيضاء . التي كانت
تتسلق بها أشجار الغابات الناضرة . غير أن صوتها لا يزال يسمع حتى الآن بين الدلال ،
والأشجار تجيب كل مناد ، وتردد ما يقال من الكلام .



وحنق جويمتر على نرجس . وكان شديد الزهو بجماله ، حتى زين له زهو
أن يقف على حوافي الماء الراكد ينظر الى جماله فيه . وبينما هو ذات يوم
واقف يتطالع الى جماله الفتان في صفحة الماء ، مسخه « جويمتر » زهرة ماترى
حتى اليوم الا على حوافي الغدران الجارية ، وقد تدلى رأسها كما كان يفعل نرجس ،
لترى جمالها في صفحة الماء .

مبادئ الفلاسفة الحديثة

— ٢ — الفلسفة والحياة

٣ — البيئة أو المحيط^١

في كل أدوار حياتنا نشعر بأننا محوطين بيئة أو محيط يلزمنا أن نقف عند حدود مخصوصة ، ، ويطلب منا بعض مسؤوليات معينة . وفي جوف هذه البيئة نولد ، وفيها نبقى من غير أن نستطيع أن نخلص من مؤثراتها طوال حياتنا ، حتى يزيجنا الموت من فوق الملعب الدنيوى . ولا جرم أننا في سبيل الحصول على « غاياتنا » لانهم بشيء اهتمامنا بالبيئة التي تضمنا . فلتها تساعدنا حيننا ، وتصعدنا عن أغراضنا حيننا آخر . نعم تربكنا آونة ، ولا تلبث أن تحبونا العون أخرى . وعلى الجملة ، فالبيئة لدى الواقع ، هي مجال العمل والنشاط . أما تأثيرنا العاكس في البيئة ، ففيه كل مانعنى « بالحياة » .

والآن ننظر بايجاز فيما نعى « بالبيئة » والصور التي تتشكل فيها . وعلى رية في أن هذا مما نحتاج اليه في درس الفلسفة في فروعها العليا . ولذا وجب على دارس الفلسفة أن يعينها ، وأن يعرف لها شأنها فيما هو مكب على درسه .

• * •

(١) البيئة الطبيعية

أول ما يطرأ على فكر الفرد ، وأول ما يستبين من أمر البيئة ، أنها طبيعية ، أى فيزيقية . أما ما يقصد بالبيئة الطبيعية أو الفيزيقية ، فنظام الاشياء والحوادث التي تتصل بها في حياتنا من طريق الوجود المادى أو الجسمانى . ومن خصائص البيئة الطبيعية أنها باقية سرمدية ، وأن لا مهرب للانسان منها . إنها تغذينا وتعضد حياتنا ، كما نستخدمها في الوصول الى كثير من أغراضنا ، ولا يندر أن تكون مصدراً يرمينا بالالام والمضرات ، وهى فوق هذا مؤثر لا يجب أن نغفل

عن أن نحسب في الحياة حسابها. وأخيراً يلوح لنا أن البيئة هي التي تحكم وجودنا وتقنينها.

أما البيئة الطبيعية أو الفيزيائية ، فيمكن أن نعد لها ثلاثة أوجه أو صور تظهر فيها . ولا جرم يكون من اللائق أن نعينها قبل أن نمضي في البحث . أما هذه الأوجه فتتخصر في المادة ، والزمان ، والمكان .

(أ) المادة

في البيئة الطبيعية كثير من الأشياء الخاصة أو « الموضوعات » لها كثير من الصفات المتباينة ، أو الخصائص المختلفة . ونحن انما نعلم الى تقسيم هذه الأشياء أو الموضوعات بطرق متفرقة متنافرة ، وعلى مجموعات المتنافرة . نصرف أسماء مختلفة ، فنقول جبل وشجرة وتفاحة وأرض ونظام شمسي وهكذا . غير أننا مع هذا نجتمع هذه الأشياء أو الموضوعات المختلفة من غير تمييز بينها في مجموع أو مرتبة واحدة ، من غير أن نعير اختلافاتها الفردية التفاتاً . وعلى ذلك المجموع الكبير الذي يشمل كل هذه الأشياء أو الموضوعات نصرف اسم « المادة » . « فالمادة » إذن هو الاصطلاح العام الذي نتخذه أساساً أو قاعدة لما نعني من البيئة الطبيعية (ب) الزمان

للأشياء التي تقع عليها في البيئة الطبيعية أوجه من الصلة غير الوجه المادي . فإنها تتشارك في الوجود ، بمعنى أن وجود بعضها يتبع وجود بعض ، فيتقدم بعضها على بعض أو يتأخر عنه . وهذه الصلات أو العلاقات ، سواء أكانت تشاركاً أو تتابعاً في الوجود ، هي كل ما نقصد من اصطلاح « الزمان » . وعلى هذا يكون الزمان هو الاسم الذي نصرفه على ما ندرك من الصلات أو العلاقات الواقعة بين الأشياء أو الموضوعات ، على قدر ما هي متغيرة .

ولا يجب أن نفعل عن أن المادة والزمان والمكان لا ينفصل بعضها عن بعض انفصلاً نهائياً . على إنها مع هذا لا تستطيع أن ندرك لأول وهلة أن بعضها مستقل الوجود عن بعض . إنها ليست بأكثر من ثلاثة أوجه أو صور تتشكل فيها البيئة ما دمتا نقصد بالكلام البيئة الطبيعية ، وهي في وجود ما يتوقف وجود

بعضها على وجود بعض . وكذلك يجب أن نذكر دائماً أن الزمان لا ينحصر
جملة في النظام المادى . فالمسكرات تتغير ، والعضويات تبلغ حد الحرم ، كما أن
للنظمات الاجتماعية تاريخها . وعلى هذا يتضح أن الزمان هو من صنع بيئتنا ،
سواء أكانت طبيعية أو غير ذلك .

(ج) المكان

للأشياء المختلفة أو الموضوعات التى تتضمنها البيئة الطبيعية ، علاقات محدودة
تصل بين بعضها وبعض فى الحجم والتناسق والبعد والقرب والاتجاه فى حالتى
الحركة والسكون . ومجموع هذه العلاقات نعرفها باسم « المكان » فالمكان
على هذا اسم نصرفه على صور مختلفة من العلاقات التى تختص بها الأجزاء المتباينة
التي تكون « المادة » ، على قدر ما هي ذات مظاهر كمية ، أى ترجع إلى المقدار
المتيسر بثقل مادى .

(٢) البيئة الحيوية

من الأشياء التى تحتوى عليها البيئة مجموعة اختص بصفات أساسية معينة
ندعوها « الحياة » . فالأشياء أو الموضوعات « الحية » ندعوها « العضويات »
اصطلاحاً . أما صفاتها المميزة لها فتتجلى فى أوجه من النشاط كالغذاء والتناسل
والنضج والانحلال . وهناك علاقة ما تسمى بين جيل وآخر من أجيال الصور
الحية . وهذه العلاقة ندعوها « الوراثة » . وهذه الصور العضوية تكون
« المحتوى » أو الأساس الذى تقوم عليه البيئة الحيوية . أما المجموعان أو المرتبتان
التي نقسم بهما البيئة الحيوية فهما الحيوان والنبات ، مع تقسيم الأولى إلى ذوات
فقر ولا فقارية ، والثنائية إلى ذوات الفلقة وذوات الفلقتين . أما التفريق بين الصنات
التي يختص بها كل من هذه الأقسام فيرجع فيه إلى كتب البيولوجيا التى تعنى بدراسة
القواعد ، أو علم التاريخ الطبيعى ، الذى يعنى بوصف العضويات وتحديد مراتبها .

(٣) البيئة الاجتماعية

فضلا عن البيئتين الطبيعية والحيوية ، نجد انفسنا محوطين ببيئة أخرى ندعوها البيئة الاجتماعية .

يؤلف الانسان في مجموع من الخلائق ، ولهذا المجموع عادات وتقاليد ومعتقدات وشرائع خاصة به ، وهذه الاشياء هي التي تحدد العلاقات القائمة بين الافراد التي تؤلف المجموع . وهذا المجموع نسميه « جماعة أو جمعية » . أما تقرير العادات والتقاليد والعقائد والشرائع ، التي تحدد العلاقات القائمة بين أفراد الجمعية ، فنُدعوها **النظمات الاجتماعية** .

والبيئة الاجتماعية ستة مظاهر سنتكلم في كل منها بإيجاز . أما هذه المظاهر فهي : التقليدي أو العادي ، والمدني أو الاقتصادي ، والادبي ، ومظهر الجمال ، والمظهر الديني ، والعلمي .

(١) المظهر التقليدي أو العادي

البيئة كنظام تقليدي ، في حقيقتها عبارة عن صور متخالطة من التقاليد والعادات نمت وتطورت بطريقة لا تنبؤية أو لا تأملية على مدى القرون والاجيال التي تكونت خلالها السلالات البشرية ، وهي تختلف وتتنابذ باختلاف الاجيال والامم . وكثير من هذه التقاليد والعادات لا نخرج اليوم من أمها وراثتها انتقلت اليها باللقاح عن حالات الانسان الفطرية الاولى ، في حين أن بعضها قد نشأ على مدى المصور التي تكون خلالها التاريخ البشري .

وهذه التقاليد برمتها نتاج ضروري تقتضيه طبيعة الانسان الاجتماعية وفي استطاعتنا أن ندعوها العادات الاجتماعية ، لأنها تنشأ في الجماعات كاتصال العادات في الفرد ، وتتميز خصائصها من طريق الميول الفطرية التي تنزع بالانسان إلى تكوين الخلق الاجتماعي .

واليك بعض أمثال من هذه التقاليد . فمنها الملبس والكلام ، واللعب والتسلية ونظمات الزواج والعلاقات الجنسية عامة ، وعلى الجملة كل ما يجري مجرى هذه الاشياء . وكذلك المعتقدات والميل إلى الاعتقاد وما يترتب عليه

من النتائج ، انما تلوح كأنها سابحة في الجو الاجتماعي متنقلة من عصر الى عصر في حين أنها ترسل بجذورها القوية الى أعماق أغوار الجمعية الانسانية . على مدى العصور التي تذهب فيها متطورة من حال الى حال . .

وجماع هذه العقائد والميول الاعتقادية تكون مانهوه « البيئة التقليدية » التي يولد كل منا مكتنفاً بآثارها العديدة ، بحيث يتعذر عليه أن يتخلص من المسؤوليات التي تلقىها على عاتقه ، أو الواجبات التي تلزمه القيام بها قسراً وجبراً « انها تصبح جزء من طبيعة كل فرد . وعادة غير متغيرة من العادات التي يألفها العقل ، أو مجموع ثابت من الميول الذهنية ، ومن طريقها تفسر كل التجارب الذاتية التي يعانها الانسان ، وعلى ما يدرك منها تكون أوجه المدح أو الذم » (١)

(ب) المظهر المدني أو الاقتصادي

اذا تركنا المظهر التقليدي ، وتأملنا في البيئة الاجتماعية ، وجدنا أنها تتطور في مظهرها الثاني الى نظام خضع لنواعد أو سنن تضعها الجمعية بمحض اختيارها ابتغاء الوصول الى الغايات العامة .

وفي هذا المظهر تتحدد حقوق الافراد ومصالحها لمنفعة الجمعية ، وكذلك تحدد مسؤولياته تجاه اخوانه في المجتمع على قواعد موضوعة . ومن هنا يلحق الفرد المبادئ الاولى في الحقوق والواجبات ، ليعرف ما يملك وما لا يملك ، وإلى أى حد تذهب حريته في استخدام « ما يملك » من الحقوق ليرضى رغباته الفردية ، وأية من منازع السلوك هو ممنوع عن أن يأتي بها .

ولا ريب في أن هذه النظمات تحدد الى درجة بعيدة منقلب الفرد في الاجتماع بأن تقيّد حريته في العمل وأوجه النفع الذاتي التي يمكن أن تسنح له فرصها . وهذه النظمات ولو أن طبيعتها سلبية ، فلها ضرورة على وجه العموم

(ج) المظهر الادبي

البيئة الاجتماعية ، في مظهرها الثالث ، عبارة عن تواضع أدبي صرف . فالجمعية تصدر أحكاماً ما على صور بعضها من صور السلوك والانتهاج ، وتسم

١ - راجع جروت - في كتابه « أفلاطون وغيره من رفقاء سقراط » - ص ٢٤٩ مجلد ١

بعض هذه الصور بأنها « صواب » وبمضها بأنه « خطأ » . وتجزى لافراد الجمعية أن تأتى فعل ما هو « صواب » وأن تمتنع عن فعل ما هو « خطأ »

واتمد تحظر الجمعية على اقرارها أن تأتى فعل بعض من صور الخطأ بقوانين وشرائع ونظامات تضعها ، فى حين أنها تستنكر فعل البعض الآخر استنكاراً دليلاً الا كبر نفور الرأى العام . غير أن صور السلوك التى تحكم الجمعية على أنها « خطأ » تكون على الدوام مستنكرة وفى اتيانها تهمة الاستخفاف بالذوق العام . أما ماتقر الجمعية على أنه صواب ، فيشجع ويمدح . وفى تقدير السلوك تنحصر كل مايعنى بالمظهر الادبى فى الوسط الاجتماعى .

(د) مظهر الجمال

كذلك نجد أن حسن الجمال يكون مظهرًا آخر من مظاهر البيئة الاجتماعية فإن للجمعية الانسانية قدرة على أن تقيم الاشياء من ناحية القبح والجمال . وكما أن بعض صور السلوك قد تقيم بأنها خطأ أو صواب ، كذلك يقضى على أشياء معينة بالحكم بأنها جميلة أو قبيحة . وكما أن الجمعية تحظر فعل ما هو « خطأ » وتبيح فعل ما هو « صواب » وتشجع عليه ، كذلك هى ترغب فى الاشياء الجميلة وتنفّر من القبيحة . أما تقيم الجمال والقبح ، فله أثر كبير فى تكوين مظهر ذى شأن من مظاهر البيئة الاجتماعية . وهذا مايسمى بمظهر الجمال .

(هـ) المظهر الدينى

كذلك نجد أن البيئة الاجتماعية بيئة دينية فى طبيعتها وفى أهم مظاهرها . وليس من السهل أن نعين ماذا نعنى بالدين . كما أنه ليس من الضرورى فى هذا الوطن أن نضع للدين تعريفاً . بل يكفى أن نلاحظ أن الجمعية تقدر بعض ضروب من المعتقدات الخاصة فى وجود قوة أو قوات تعتبر فى نظرها مقدسة ، وتحاول أن تخلق لها نزعاً من العبادة أو التقديس تستمدّها من هذه المعتقدات . وهذه المعتقدات وتلك النزع التعبيرية ، تكون على الراجح العناصر الاساسية للمظهر الدينى من البيئة التى تكتنف الافراد .

(و) المظهر العلمى

سبق أن عرفنا المظهر التقليدى أو العادى بأنه مجموع معتقدات لا تنبئية أولاتأملية . وبجانب هذا المظهر يقوم مظهر آخر عقلى فى قوامه ، اقناعى فى أساسه ، تكون مع مضى الزمان من تأملات عقلية طويلة أكب عليها العقل البشرى فى هوادة وتريث . وهذه النواتج العملية ندعوها « علماً » أو « آثار علمية » فنفرق بهذا بينها وبين المعتقدات اللاتأملية التى تنشأ عن العادة والتقليد ، أما النظمات التى « تتبلور » فيها هذه النواتج العقلية ، فذلك ما نسميه « العلوم » . وهذا ما نسميه بالمظهر العلمى للبيئة الاجتماعية على أن هذا المظهر قد لعب الدور الأكبر فى حياة الإنسان على طول الدهور وكر العصور .

فيلوزوف

اللعن الأكبر

ليونيداس أوازكى

ليس هو بلص من أولئك اللصوص الذين يروى أخبارهم التاريخ ، فتشك في بعض ما يروى أو تناقش في صحة الوقائع . بل هو لص لا يزال عائشاً حتى اليوم يأكل عيشه بين جدران السجون ،

والحقيقة أننا لا نروى هذا الخبر لمجرد التسلية ، بل نقصد بنقله أربين . الاول ان يكون عظة : والثاني أن يكون موضعاً لدرس الذين يحاولون الاكباب على بحث نفسيات المجرمين .

نقلت أخبار بوخارست في ٦ يونيه الماضى ان بوليس مدينة كشينيف في بيارابيا قد قبض على ليونيداس أوازكى ، وهو متسول معروف في المدينة ، كان يدعى بانه مشوه الجسم وانه برجل واحدة ، وانه مصاب بامراض معضلة . فكان يمثل في مشيه وسؤاله وحياته ، رجل أصابه العرج ونزل به الداء فلا جسمانه .

على أن هذا الرجل لنبوغه في تمثيل روايته ، قد قطع على غيره من المتسولين أرزاقهم . ففشى بعضهم سره للبوليس . ومن غريب الأمر ان افشاء السر قد طرأ على الكثيرين من رصفائه في وقت واحد ، فكان لهذه الحادثة أثرها في أن يهتم البوليس بأمره . وان يبحث صحة الوقائع التي نسبت اليه . قبض عليه وأودع السجن .

وكان له منزلين يعيش فيهما . فلما فتشا عن البوليس على يدنات يتضح منها ان ليونيداس الاعرج الاشوه رئيس عصاية من اللصوص . كانوا يطيعونه طاعة عمياء . وانهم كانوا يسطون على بيوت الاغنياء وعلى تجار المجوهرات . وعرف أيضاً أن ليونيداس لم يكن يشترك بنفسه في أى حادث من حوادث السرقة ، بل كان يرتب عملية السطو بكل دقة ومهارة ، ثم لا يلتفت اليه الا نظار ويفتضح أمره .

وظهر ان لليونيداس أربع خزائن استأجرها من أربعة بنوك كبرى في
بوخارست . فلما فتحت السلطات هذه الخزائن وجدت أنها تحوى أموالا طائلة ،
فثبت لدى رجال الشرطة ان ما تحوى الخزائن ليس الا قسما ضئيلا من ثروته
الكبرى ، لانه عثر في مخابىء أخرى على سندات وأوراق مالية تر بوقيتها على
٦٠٠٠٠٠ جنيه كان قد سرقها ليونيداس وعصابته .

واتمجد وجد بين منهوباته علبة لفافات كتب عليها الآتى « الى حاكم النمسا
من الامبراطور ولهم سنة ١٩٠٥ » . واسم « ولهم » مكتوت بالاحجار الكريمة
على ظاهر العلبة . اما المجوهرات الاخرى من عقود الماس والؤلؤ الثمين وأنواع الجواهر
الثمينة ، فما يبهر النظر ويطمع فيه اكبر الملوك والامراء .

ولما فخر الشرطة أرض المنزل الذى كان يقطنه ليونيداس ، عثر على خزانتيين
أخرين ، ملئتتا مسروقات أخرى من بلاد أجنبية ، فيها كثير من الاوراق المالية
والمجوهرات الثمينة النادرة .

اما ليونيداس أوازكى فارمىنى هرب من الاستانة ، حيث كان يشتغل صائغا ،
قبل قيام الحرب العظمى بعدة سنوات ، عندما قامت مذبحه الارمن المعروفة
في عهد السلطان عبد الحميد . ولم يتوطن مدينة كيشينيف الا بعد الحرب
بعدة سنوات .

وهو مصاب بداء السل الرئوى ، حتى لقد بعث منظره الرث وسعاله المتواصل
الشفقة والرحمة في قلوب ضحاياه الذين اجتمعوا ليعرفوا مسروقاتهم .

فعلى أية صورة يفهم الحياة أمثال ليونيداس هذا ؟ اننا لانستطيع أن
نستخلص في عالم الحيون غريزة تعود اليها تلك النزعة التى تقوم في نفس هذا
الرجل . فهل لعلماء الطبائع ان يعلموا لنا هذه الظاهرة الغريبة ؟

الجامعة الازهرية

لصاحب الفصيح الاستاذ صاحب التوفيق

١ - عقاية القرون الوسطى - ٢ - حرية الفكر والتعالم الدينى - ٣ - العنصر الجديد فى الازهر - ٤ - الازهر والسياسة - ٥ - الرجعية السياسية - ٦ - الاصلاح المنشود - ٧ - النتيجة

١ - عقاية القرون الوسطى .

لا نظن أن تعريفاً نضعه لتحديد « عقاية القرون الوسطى » يمكن بأى وجه من لوجوه ، أن يكون مرضياً للكثيرين ممن يعتقدون أن هذه « العقاية » إذا تطورت أو انتهت التغيير بصورة من الصور ؛ يهدم ركن الدين ، وينهار قائم اليقين ، ويصبح الناس فوضى لا نظام لهم ولا أخلاق تردعهم عن فعل الشرور والآثام وارتكاب المعصيات ، كأنما هم يعتقدون أن هذا النظام الاجتماعى هو من صنع يدهم ونتيجة من نتائج قوانينهم وشرائعهم التى يتذرعون بأن يذيلوها قسماً من التأثير النفسانى بأن يردوها الى قوى الغيب ، غير عاين أن نظاماتهم وقوانينهم وشرائعهم انما هي مظهر من مظاهر الاجتماعية ، وتعبير بسيط عما يقوم فى جسم الكل الاجتماعى من الحاجات التى يتطلبها وجوده ؛ وانها فى ذاتها عرض لا جوهر ، وأن الاجتماع أصلى ، ادراكه على صورة قريبة من الواقع ، مرهون على أن نفهم من تلك الشرائع والقوانين والمعتقدات أنها أهم مظاهره ، لا أنها فى ذاتها جوهر ، الاجتماع عرضه ، وانها علة ، نظام الاشياء الانسانية معلولها .

يعتقدون خطأ بأن الشرائع علة فى وجود الحالة الاجتماعية ، فى حين أن عكس هذه النظرية صحيح من كل الوجوه . هم لا يقولون مثلاً بأن الشرائع حرمت السرقة لانها مضره بالاجتماعية ، بل يقولون ، بأن حظر السرقة علة فى وجود الاجتماع . كأنما هم بذلك يحاولون أن يثبتوا أن الحالة الاجتماعية الطبيعية مرهونة على بقاء شرائعهم كما هي ، وأن هذه الشرائع إذا تغيرت أو تطورت ، تهدم ركن الاجتماع ، على معتقدهم .

لهذا وحده يعزى السبب في جمود عقلية القرون الوسطى وعجزها عن مساهمة الاجتماع الانساني في ترقيه التدرجى نحو الغايات العليا . ولا جرم أن هذا هو السبب في الصدام الذى وقع فى القرون الوسطى بين الكنائس وأهل العلم ، ويعزوه بعض الناس خطأ الى نزعة الدين نفسه ، وما ذلك من نزعة الدين في كثير ولا قليل .

هذه العقلية ، اذا أردنا أن نعرفها تعريفاً دقيقاً ، لم تصبح في نظارنا أكثر من انها الصورة الذهنية التى تتركز حول مجموعة من المزايم المنقولة أو الشرائع التى يدعى بأنها منزلة ، وحول تفسيراتها التى يفسرها بها أئمة الدين ورؤساؤه ، فتؤخذ على أنها ثابتة لا مبدل لها ، فتغضى على الطريقة العقلية التى تحاول أن تصفى هذه المنقولات الاخبارية من أثر الوهم والاساطير .

هذه العقلية بذاتها هي العقلية التى قامت عليها الجامعة الازهرية ، وعليها تقوم الى الآن . ولقد كان لهذه العقلية آثارها البعيدة في مشاعر الناس وتصوراتهم على مدى العصور والاجيال . فهي التى صدمت تيار التقدم الانساني وهى التى عاقبت « العقل » على نزعاته الحرة ، وهى التى ادعت خلال العصور أنها السنة التى سنّها الله خلّقه في الارض ، وانها الكفيلة بانخلاص الاخرى ، وأنها تملك الدينونة الصغرى ، وأن الله يملك الدينونة الكبرى .

ولقد تبرع على عرش هذه العقلية ملوك وأمراء ، حفت بهم هيئات مختلفة من رجال الدين . استمدوا سلطتهم من نبع واحد وناعوا بعقليتهم هذه على الجماهير يقتلون فيها حب البحث والحرية تخليصاً لهم في أخراهم بأن يهدوهم في دنياهم ، في حين أن تاريخ هذه الفئات ، التى اعتقد خطأ بأنها ظلال الله فوق الارض ، لم يدل يوماً الا على أنهم أشد الناس اسفاً في النزعات وانهم أكثر خلق الله طماعية وثباتاً على الخطأ . فكأنهم بذلك لم يبتغوا نفع الانسان ولا نفع الانسانية ، بل رموا الى ترهيب الناس وترغيبهم ليستكينوا لاحكامهم خاضعين لترهاتهم ، لينفوزوا هم من طريق هذا الخضوع بالتمتع بالسلطة وحيارة الدنيويات .

ألم تتركب سورت قصور العظماء والامراء ورؤساء الدين بأسوار من الاحجار

الصلبة والحديد ، وقد ملئت جوانبها بالسراري وما ملكت الايمان من الائمة والعبيد ، وهنالك قامت المفاسق العامة تحت ستار الدين ، ونجت عنوان أن هؤلاء هم ظلال الله فوق الارض ، تعالى الله عما يفترون علواً كبيراً ؟

ألم تر كيف أن رؤساء الدين والامراء الذين رضوا من الدنيا بالوهم الذي كان يبدئه في روعهم هؤلاء ، قد عمدوا الى الدين يستغلون بالقرابات . وبيع الخفرانات في القرون الوسطى ، حتى فرغ مافي جيوب الناس وملئت خزائن معاهد الدين بالمال تقام به المذابح دساً وخديعة ، وتبنى به المحارق لتلتهم نيرانها أبر من أنجبت الانسانية من أبناءها بالانسانية ؟

ولئن كانت معاهد الدين قد فتمت اليوم السلطة الدينيوية فان العقلية التي كانت مفاتن السلطة الدينيوية عنواناً عليها ، لا تزال باقية حتى اليوم بفؤوسها ومعاولها . ولو أفسح لها اليوم المجال لرجعت سيرتها الاولى تحت ستار آخر يناسب مقتضى الزمان والمكان . هذه العقلية هي التي يجب أن تعمل على الغائها وقتلها اذا أردنا للجامعة الازهرية اصلاحاً صحيحاً قائماً على ماتتطالب المصالح الانسانية من حاجات في العصر الحديث :

٢ - حرية الفكر والتعليم الديني

قرأت منذ زمن قريب محاضرة ألقاها أحد أصحاب الفضيلة عنوانها « القرآن وحرية الفكر » وكنت أود من صميم قلبي أن يكون ماقال صاحب الفضيلة صحيح ، وأن لا ينصرف هذا الفرض على القرآن وحده ، بل ينصرف على كل الكتب السماوية ، يقول صاحب الفضيلة هذا القول في حين أن كلمة « الدين » وحدها ، وهي التي تعتبر على المعنى المستمد من الكتب السماوية ، لا تتفق وحرية الفكر بحال من الاحوال . ذلك لأن الدين في مظهره الخارجي « تسليم » وفي مظهره الباطني تأثير مما « فوق العقاية » نخضع له المشاعر .

هذا هو التحديد الصحيح لما نعني بالدين ، ولما نعني بالكتب المقدسة . اذن لا يجب علينا أن نخاط هذا الخاط الفاحش في تحديد المدرجات . فقد كان هذا

الخلط سبباً في أن يقوم بين فئات كثيرة مسائل خلافية ما أنتجت الا أسوأ النتائج للدين وغير الدين .

ان أول أثر يترتب على الاخذ بالطريقة العقلية في التفكير هو الصراع بين العقائد وبين المعقولات . لهذا يجب أن نفصل فصلاً تاماً بين حرية الفكر والتعليم الديني . فلتعليم الديني يجب أن يقوم على القواعد الأساسية التي وضعت في فلسفة الأديان مع تصفية البراميج من الأشياء التي ثبت علمياً بأنها غير صحيحة . فالدين والتعليم الديني يجب أن يلجأ الى التأمل ، وأن يخضع الى حاجات اليقين ، قبل أن يخضع الى حاجات العقل ، على أن يكونا في خضوعهما هذان مساران لمقتضى لحالات الأولية التي تتطلبها سعادة المجتمع .

لهذا لا نقول مطلقاً بأن الدين يجب أن يخضع لحرية الفكر . كما نقول بأن حرية الفكر لا يجب أن تخضع مطلقاً للدين . وما نقصد الى شيء الا أن نخلق حالة عقلية تبرر وجود الدين وتبرر وجود الحرية الفكرية ، باعتبارهما من الأشياء التي يحتاج اليها المجتمع ذهنياً ، حاجته الى الغذاء والكساء طبيعياً .

نريد أن يقوم بين الطرفين « تفاهم » يبرر به وجود كليهما على قاعدة أن تحرير الفكر لا يترتب عليه إلغاء الدين ، ولا أن التعليم الديني يترتب عليه إلغاء العقول . فانا اذا استطعنا أن نفرس هذه الفكرة في الجامعة الازهرية ، نكون قد بلغنا في جيل واحد ما بلغته أوروبا في قرون .

٣ — العنصر الجديد في الازهر

في الازهر عنصر جديد هو نجم يلمع في دياجير هذه الجامعة الكبرى . وكما يمر الاورو بيون لدى قيام مايدل على وقوع حوادث جديدة بقولهم « ان في الشرق نجماً جديداً » نقول بأن في سماء الازهر ضوء يلمع . وشماغاً يرسل بخيوطه المضئية الى أغوار العقلية التي قام عليها الازهر منذ أبعاد أزمانه .

يتكون هذا العنصر الجديد من بضعة أفراد لا يزالون يعدون على أصابع اليدين ، عرفوا ما تقوم عليه الجامعة الازهرية من المناقص فحاولوا أن يصلحوا ، لا باليد

ولا بالقوة ، ولكن باللسان فقط ، فأبعدتهم العقلية القديمة عن الإدارة ، ونفقتهم الى مقاعد للتدريس لا يمكن أن ينتفعوا بها ولا أن ينتفع بهم الطلبة فيها الذين يحضرون عليهم ، وبذلك مثل رجال الإدارة في الازهر الرواية القديمة التي كانت تمثل في القرون الوسطى على صورة تلاميذ مقتضى الزمان والمكان .

ولنا في الماضي القريب عظة . فان الأستاذ محمد عبده لولم يتربع على عرش الازهر ، وعلماء الازهر راغمين ، لما قامت من حوله تلك الضجة الكبرى ، وانفى كما ينفي اليوم أثرابه من علماء الازهر ، الى معهد من المعاهد التي لا يمكن أن يسمع له فيها صوت ، أو يكون الأحجار التي تبني بها جدرانها صوت يتردد . ولماذا نذهب بعيداً ، ألم يكفر محمد عبده في نظر الازهر ؟ ألم يقيم له علماء الازهر دينونة صغرى ، فحكموا عليه بالتجديف ، وعينوا له المنزلة التي ينزلها من منازل جهنم ، فقال بعضهم انها سقر ، وقال البعض انها الباب السابع في الجحيم ؟

هذا العنصر الجديد ، الذي بدأ محمد عبده بوضع العقلية التي قام عليها ، هو العنصر الوحيد الذي يجب أن يكون له اليد الطولى في نظام الازهر . ومن التحكم في ادارته ووضع برامج . وما هذا العنصر على وجه التحديد الا أولئك الافراد الذين يجولون الدين باعتباره شيئاً محصوراً في النفس ، ويجولون العقل باعتباره مبدأ يحتاج اليه الحياة الانسانية . هم لا يلغون العقل ، ولا ينزلون الدين عن منزلته الحقيقية ، فبذلك جمعوا بين حاجات الدنيا والآخرة . هم النجم الجديد اللامع في سماء الازهر ، وهم لدى الواقع نواة الاصلاح . هم أشبه الناس من حيث حرية الفكر والاستمساك بقواعد الدين ، بذلك الرجل الانجليزي الكبير والفيلسوف الماروف الاستقف « انج » الذي يقول على الرغم من تدينه الشديد :

« يوجد ثلاث صور تتشكل فيها الافكار ، كما تتشكل المواد الكيميائية ، وهي الجمادية والسائلية والغازية . أما الصورة الاخيرة فمظهرها الخطايبات والمناقشات الخلافية . والثانية مظهرها الكتب . والثالثة مظهرها أساتذة « العلم » الذين يعرفون كيف يقدسون العقل قبل كل شيء في هذا الوجود »

٤ - الأزهر والسياسة .

ولست أدري كيف أن معهداً كبيراً كجامعة الأزهرية ، يجب في أول ما يجب عليه أنه ينصرف عن كل ما يخرج عن أفق الدين والعلم ، يكون نواة للحركات الرجعية في السياسة ، ويكون عاملاً من العوامل التي تمتد إلى صاحب كل نفوذ مصرياً أو أجنبياً ، ثم يمكن أن ينكر منكر أن آثار العقيدة القديمة لا تزال قائمة في رءوس أهله .

لقد حررت النزعات الحديثة معاهد العلم عن السياسة . فلست تجد اليوم معهداً من المعاهد العليا له بالسياسة أقل احتكاكاً ، أو يكون احتكاكها دليلاً ساطعاً عند أهل العلم بأنه خرج عن وظيفته الطبيعية التي أسس من أجلها . وعلى الضد من هذا نجد الأزهر ، فإذا قويت يد السلطة الشرعية في البلاد كان الأزهر أول من يمد لها يداً . وإن انتعش حزب من الأحزاب كان الأزهر سنادته وعماده ، وإذا تحركت السلطة الفعلية لتفتت على حقوق البلاد ، كان الأزهر أول من يدعى بان مصر أقل البلاد حقاً في حكم نفسها . ولا نغني بالأزهر لدى الواقع إلا رؤوسه وذوو النفوذ فيه . ولا جرم أن لهؤلاء من الساطة في الأزهر ما يجعل كل سلطة بعدهم هباء أو فناء . فهم الأزهر والأزهرهم .

هم الذين مدوا يدهم لنا بليون بونابرت بعد أن اتخذ من الأزهر مرابطاً لخيله فكانوا عوناً على مصر ، وهم الذين تربعوا في مجالس الحكم ينفذون إرادة الفاصب ، بينما كان سوقة المصريين يمعنون في الفرنسيين تقتيلاً ، ويمعن فيهم بونابرت ذبحاً وتفظيماً .

هم الذين نصرروا سعد باشا رحمه الله ، فإذا جرى عليهم الاصفر الرنان من خزائن حكومة غير حكومة سعد ، نسي سعد ونسي الوفد ونسيت مصر ، ونسيت الوطنية وطفئت حرارة الحماس للاستقلال ، ولا آله إلا وزارة المالية ، وما شاء الوزير كان .

وكم تنقل الأزهر من مصاف الوطنيين إلى مصاف العقلاء ، وكم أخذ بيد السلطة الشرعية ينصرها . فإذا مدت له السلطة الفعلية يداً ، أنكر شرعية أهل الحكم

وراح يناوئها لينال « غفران » أهل القوة . ولم ينس أن الدين يأمر بالبر والتقوى ، ولم ينس أبداً « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، على أنهم نسوا الله والرسول وأطاعوا أولى الأمر ، مع تفسير أولى الأمر بحسب الأهواء والأغراض .

لا جرم أن هذه حالات لا تخلقها إلا عقلية عكفت على الأساليب التي ألفها العقل في القرون الوسطى . عقلية لا تعرف الدنيا إلا بقدر ما فيها من متعة ، ولا تعرف الدين إلا بقدر ما يكون وسيلة لخدمة الدنيا . ولا شبهة عندي أن في الغاء هذه العقلية ينحصر كل الإصلاح المنشود ، فلنلغ عقلية الأزهر ، ولنلغ الأساليب التي تجري عليها طرق التعليم لنفوز بجامعة أزهرية جذرية بالتقاليد التي يجب أن تكون لمصر في عصرها الجديد



٥ - تحليل السبب في الرجعية السياسية .

إذا أردنا أن نحلل السبب في هذه الرجعية السياسية التي يملها الأزهر الشريف ، فانا لا نحتاج إلى شرح أو بيان في إثبات أنها موجودة بالفعل وأن أثرها ملموس . واليك دلائل واحد :

يتهم الناس حزب الأحرار الدستوريين بأنه حزب اللادينية ، ويعرفون فوق هذا أن اسماعيل صدقي باشا من أساطين هذا الحزب . فلما مد إليهم يده بتحسين أحوالهم المعاشية من مرتبات ومكافآت وغيرها ، أصبح صدقي باشا ، ممثل الأحرار الدستوريين ، ناصر الدينية على اللادينية ، وما شاء الله كان . وبهذا قال الأزهر والأزهريون ، وبهذا أثبتوا نزعتهم الرجعية في سياسة البلاد ، على أنهم عنصر لا يستهان بقوته ، ولا ينكر في السياسة أثره .

أما تحليل السبب في هذه الرجعية فمحصله أن عقلية القرون الوسطى بما فيها من ضعف التأليف بين المثل العليا في الحياة ، لا تمكن الآخذين بها من الحكم على حقائق الأشياء حكماً بعيداً عن الأغراض الذاتية .



٦ - الإصلاح المنشود - النتيجة .

ينحصر الكلام في الإصلاح المنشود على شيء واحد هو :
 « العمل على تحرير العقول من أثر العقلية القديمة . وليس معنى هذا أن تغير
 البرامج فقط ، بل يجب أن تتغير أساليب الدرس والتفكير أيضا » .
 أما النتيجة فتتصرف في :

« ان الازهر سيظل عاملا رجعياً في الدين والسياسة والعلم مادام بعقليته الخاضرة .
 فاذا أمكن القضاء على هذه العقلية ، نكون قد أصاحنا الازهر وخلقنا منه جامعة
 جديدة جديدة بما تتطلع اليه من مثل عليا في الحياة »

أزهري حر الفكر

التَّحْقِيقُ وَالْإِثْبَاتُ

تاريخ سوريا ولبنان

رد على رد

١ — رأيتم أن لا فائدة من تصدير الكتاب بتاريخ سوريا ولبنان قبل الاسلام بمثل هذا الجفاف والقحط . وقد يكون لكم في ذلك بعض الحق لو كان الكتاب للمتأدبين لا للتلامذة . ولو كان مؤلفه غير مقيم ببرنامج وزارة المعارف اللبنانية —

٢ — أما اعتراضكم على ما جاء في الكتاب من غلو وذلك في ما يتعلق بتاريخ العرب . فأظنه في غير محله . وتساؤلكم عن التجارة العربية . وحماة التجارة من العرب أين هم ؟ . وذلك في ما هو أقرب إلى النكران منه إلى التأييد خطأ عظيم . لأن مثل هذه الاخبار قد أيدتها كل المصادر . وإني لأعجب كيف تجهلون مثل هذه المعلومات الضرورية لمعالجة النقد التاريخي في الصحف والمجلات العربية .

٣ — جاء في التاريخ العام الذي تصدره شركة دائرة المعارف الانكليزية في ٢٧ مجلد . في المجلد الثالث والصفحة ١٠٨ ما يأتي :
وكان للقرشيين في مكة مورد ثروة لا يستهان به بما كانوا يرسلونه صحبة التوافل الى شواطئ البحر الاحمر وما يصدرونه عنها . وكانت جدة منذ القديم مركزاً تجارياً عظيماً . ومكة التي كانت تبعد قليلاً عنها مركزاً عاماً للتجارة العربية . وقد عظم سخط هذين المركزين جدة ومكة بما أظهرته تجار قرش من البراعة والذكاء في تجارتهم .

وايس هناك ريب في خبر القوافل التي كانت مكة ترسلها الى دمشق والعراق . «

وليقرأ حضرة في المصنفحة ٣٠٥ من المجلد نفسه أسماء الاشخاص الذي

اعتمدت عليهم شركة دائرة المعارف البريطانية . وتاريخ العالم في
إيجانها هذه .

٣ — ولقد سقطت كلمة (فحسب) بعد ولم يكن العرب تجاراً . وذلك في
الصفحة ٢٩ من الكتاب الاول . وما قبلها يؤيدها وهذه هي الجملة كاملة .
« وكانت الجزيرة العربية تعتمد في قوامها الاقتصادي على التجارة . والفترات
القليلة الضئيلة التي تنبت في أرضها . وكان جل اعتماد أهلها على التجارة اذ كان
البروسيلة صالحة للنقل . ولم يكن العرب تجاراً فحسب . ولكنهم كانوا حمالة لتجارة
التي تمر بأرضهم)

٤ — ويقول موير في كتابه (تاريخ محمد) صفحة XC—XCI—IXXIX وذلك
في مقدمة كتابه الضخم . ومع أن جزيرة العرب كانت منذ قرون عديدة بعيدة
عن الانظار . فأننا نعرف أن تجارة عظيمة كانت زاهرة في كل وقت في هذه
البلاد . وهي التي جعلت العرب حملة التجارة العالمية بين الشرق والغرب)
وليقرأ حضرة هذه الصفحات في مظانها . فيعلم عن خبر هذه التجارة
الشيء الكثير ...

٥ — وهناك في دائرة المعارف الانكليزية ما يؤيد هذا الخبر الذي استفاد
خطره فأصبح حادثاً « واقعاً » لا سبيل الى الشك فيه وانكاره ، ولنا نريد أن
نبحث الاخبار العربية وغير العربية لنذكر علاقات فارس والروم مع العرب ،
وما كان للاعراب من مركز منيع في عهدهم ، وما كان للمناورة والقساسة من
شأن في السياسة الحكومية في فارس والروم . فان هذه أمور يعرفها طلاب المدارس
وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذه الشرازم العبرية كان لها شأن في الجزيرة
وغير الجزيرة قبل أن دفعها الاسلام . لحق الدولتين العظيمتين فارس والروم .

٦ — وجاء في كتاب التاريخ العام الذي وضعه الكاتب الانكليزي
المعروف وليس في الصفحة ٤١٠ — ٤١١ ما يأتي

« كان العرب يأخذون الجزيرة لحماية القوافل التي تمر بأرضهم . ولقد قامت
بعض المدن العربية على الطرق التجارية . مثل مكة والمدينة . ولم تكن مكة

مركزاً تجارياً فحسب وإنما كانت أيضاً مقراً للحاج والعبادة»

* *

٧ — أما الجزية التي فرضها تيمورلنك على دمشق فقد جاء عنها ما يأتي :

١ — تاريخ سوريا ولبنان لليسوعيين صفحة ٧٦ « بيروت المطبعة اليسوعية »
فرض تيمورلنك على دمشق جزية قدرها عشرة ملايين ولما فتحت
دمشق أبوابها أخذ التتريين يهبونها بيتاً بيتاً

٢ — تاريخ سوريا (بالفرنسية) الأب لامانس . بيروت — مطبعة
اليسوعيين

وطلب تيمورلنك جزية قدرها مليون دينار من دمشق
وقول لامانس أوثق وأصدق . وهو ما اعتمدنا عليه . فهل لخصرة الناقد
أن يأتينا بما ينقض هذا الخبر

٨ — أما اعتراضكم على ما نقلناه (للسائح الألماني) فقد يكون جديراً
بالعناية لو استطعنا إلى بحثه ونقده سبيلاً . ولما كان ذلك مستحيلاً لندورة مثل
هذه الاخبار . وعدم انصراف أحد من أبناء سوريا لمعالجتها . فقد نشرنا أقوال
هذا السائح لوحدها دون أن تكون ذات علاقة بالدروس التي تلقى على التلامذة
ليقرأها من أراد فيجد فيها ما يساعده على تعرف الزمن وحالته الاقتصادية . وفيها
على كل حال أخبار تاريخية مهمة

٩ — أما ما نشرناه عن وزن الجارية وغير ذلك أيام عثمان . وذلك نقلاً عن
كتاب (الامامة والسياسة) فقد يكون فيه بعض المبالغة وذلك لا يمنع توفر المال في
ذلك الزمن بعد ما درته فتوح فارس والروم على المسلمين من الغنائم الوفيرة
والاموال العظيمة .

١٠ — أما مقدار الجزية التي كان يدفعها عبد الملك بن مروان إلى الروم فقد
ذكرها العرب كما ذكرناها في كتابي صفحة ١٢٨ وأشارت إليها المصادر الأوروبية
دون ما تعين إلى المبلغ . وقد فعلت ذلك في الصفحة ٥٣ من الكتاب نفسه

١١ — أما عدد الجيش العثماني في الحرب العامة. فمساكن أكثر من مليون جندي. وهذه حقيقة لا سبيل إلى إنكارها وعدد سكان الدولة العثمانية في ذلك العهد وبلغون ٣٠ مليوناً يؤيد ذلك

أما عدد القتلى والجرحى من السوريين فنقره ونؤيده كما أوردناه حتى يأتيها حضرة الناقد بأوثق منه . أما ما لم نذكره عن أعمال الأميركيين النافعة في البلاد فقد أتينا على أعمالهم . العامة وسنبحث أعمالهم المالية في الكتاب المطول . وأما أسأله عن الأسباب التي حماه على تجاهل ذلك فأمر يعنينا دون سواي .

١٢ — وهناك بعض نقط لا أهمية لنقدتها أو تفنيدها . وكنا نود لو أن حضرة الناقد كان أوثق أخباراً وأكثر روية وأعلم بأخبار سوريا ولبنان ليكون نقده أبقى أثراً وأكثر فائدة .

*

* *

تعليق على الرد السابق

١ — نأسف لعدم وقوفنا على أن برنامج وزارة المعارف اللبنانية . قد قيدت المؤلف « بمثل هذا الجفاف والقحط » ولكننا لانسلم مع حضرة بان كتابة هذا « الجفاف والقحط » للسلامة . وليس للمتأديين فيه فائدة لهم . وهم محتاجون لتبسط أكثر خصوصاً وأنهم مبتدئون

٢ — تساؤلنا عن التجارة العربية أن هي . هو بالضبط مثل تساؤلكم ص ٣٩ « ولم يكن العرب تجارا ولكنهم كانوا حماة تجاره » وأظن السيد المحترم يسلم معي أو يسمح لي أن أسلم معه بصفحة ماورد في الصفحة ٢٩ ج ١ . من كتابه « كانت الجزيرة العربية تعتمد في قوامها الاقتصادي على التجارة (والثمرات القليلة الضئيلة التي تنبت في أرضها) وكان جل اعتماد « فما الذي كان يحمله العرب إذا كانت حاصلات بلادهم الزراعية تكاد تكون معدومة » أظن سيادته لا يريد أن يقول بان الصناعة العربية كانت ناجحة وأن النقيدين كان معروفاً من العرب . فاستثمروه . فهل كنت مخطئاً في قولي إذن أيها السيد ؟

٣ — وإنما تعرضت لهذا القول عرضاً . لأن قصدي كان اظهار التناقض . ففضل
وقل لي ما الذي كانت تحمله تلك القوافل غير التمر والشعير الى دمشق . وما الذي
كان ينتظر أن ترده دمشق الى قوم حفاة عراة الاشياء حقيرة ؟ وأحب أن
لا يكون حضرة المناظر زقلا بلا تفكير . فعلى فرض ان كتب الاولين والآخرين
حوت ما ليس يقبله العقل ، فهل يتמיד الانسان عقله في سبيل الاستشهاد بفلان
وفلان ؟ واني آسف غاية الأسف لعدم وجود كتاب التاريخ العام تحت يدي
الآن ، ولا كتاب موبر ولا أي من الكتب التي تفضل بذكرها ، ولم أسع لاحضارها
لأن النبذات التي أتى بها حضرته على فرض أنها منقولة حقا من تلك المصادر
لا يستسيغها العقل للأسباب التي ذكرتها من قبل ، فهي غير صحيحة

٤ — وهناك فرق — ولو في نظري أنا فقط — بين القول بأن العرب كانوا
حملة تجارة (يسوقون الجمال) وبين القول بأنهم كانوا حماة . وكذلك هناك فرق
بين القول بأنهم كانوا يحمون تجارة (الأُم التي كانت تحيط بهم) أليس كذلك ؟
والمعتول أنهم كانوا يحمون تجارة اليمن — سور يا لان مرور القوافل في مواطنهم
كان يحتاج الى هذه الحماية ولكن أكثر من هذا فلا

٥ — وما الذي كان للمناذرة والغساسنة من شأن في السياسة الحكومية في
فارس والروم ؟ أليس هذا التعميم غير جدير بصفات المؤرخ ؟ ان من يقرؤك
يا صديقي لا شك يعتقد بان المناذرة والغساسنة كانوا يلعبون في الدولتين الدور
الذي لعبه الاعاجم في سياسة الحكومة العباسية . لا . لا . أرجوك أن تقلل من
حماسك وأنت تكتب التاريخ لأنه اذا كان كل مدرسي المدارس على شاكلة
وأصبح « طلاب المدارس » يعرفون هذه الامور فليس أمامي إلا التأم العميق
والسكوت على مضمض . كلا ياسيدي فطلاب المدارس وأنا في جملتهم لا نسلم
بصححة ما نقوله أبدا

٦ — واني أشكر مناظري الفاضل اختياره نشر أخف الضررين . فالحمد
لله على أنه لم يعتمد على تاريخ اليسوعيين في ذكر الجزية التي أخذها تيمورلنك
واكتفى بمليون دينار واني لو كنت مكانك لقلت « فرض تيمورلنك على دمشق

جزية ثقيله . ولما فتحت أبوابها أخذ التريشيهونها بيتاً بيتاً « وأظن في ذلك
الكفاية . لأن نصف مليون جنيه مبلغ ضمت منه مصر في القرن العشرين عند
مادفمته بعد مقتل السردار

٧ — ليتك عينت ثمن الجارية بمائة ألف درهم فكان ذلك أخف وطأة
من قولك أنها كانت تباع بوزنها . يا حفيظ . يا حفيظ

٨ — بخصوص عدد الجيش العثماني اسمح لي أن أقول بأنني وافقتك
بقولي « اني لا أتصور أنه زاد عن ١٠٠٠٠٠٠ جندي كثيراً » فاذن نحن متفقان
ولكنك قلت أن « عدد سكان الدولة العثمانية ٣٠٠٠٠٠٠٠ » واستنتجت
أنه لا يستبعد تجريد تلك القوة وهذا ما لم أعرض له أبداً . بل الذي تعرضت له هو كيف
يمكن لسوريا أن تقدم جيشاً عدده ٢٤٠٠٠٠٠ كلهم بين ١٨ و ٤٥ في حين أن
تعدادها ما كان يتعدى ٣٠٠٠٠٠٠٠ نفس . ذلك خلاف الذين رشوا الرؤساء
للتخلص من الخدمة ، وخلاف (الفراريين) وخلاف موظفي الحكومة الذين حشروا
حشراً في دواوينها وخلاف الذين انتموا الى المدارس ؟

٩ — أأسف جداً لأنني لم أعمل احصائية للقتلى والجرحى من السوريين
وأعجب كيف تقررون العدد ١٢٠٠٠٠٠ نفس ؟ يجوز أنهم كانوا أقل أو أكثر
أليس كذلك ؟

١٠ — اني لم اتساءل عما تذكره عن أعمال الاميركيين النافعة في البلاد
بل الذي سألت عنه هو السبب في تخصيصكم بالذكر ما أنفقته الفرنسيون وتقدرونه
بسبعة ملايين فرنكاً . وذلك في إطعام الجياع وتموين لبنان وإنشاء مخازن للأعاشة
في حين أنك تعلم مثلما أعلم أنا أيضاً بأن الامريكيين انفقوا بدلاً من الفرنك
الواحد جنيتها ذهباً أو بالاقل دولاراً في هذه الاوجه لبس بعد الحرب فقط بل
وخلال مدة الحرب . ومع ذلك لم يحظوا بوضع اسمهم مع غيرهم من المحسنين
ولو في ذيل القائمة . وأنا اعترف بكل خضوع أن الدافع لك على ذلك هو من
شئونك الخاصة ؛ ولكن أليس للقارىء أن يتساءل عن السبب ولو في السر ؟
(يامونشير أنت مؤرخ ولست صحافياً تشتغل في نشر الدعوة)

أظنك عرفت اني أوثق إخباراً مما حسبت وأكثر رواية . وأما كوني أعلم
 بإخبار سوريا ولبنان فأمر أتركه لك بعد أن تقرأ

عمر عنايت

*

* *

(العصور) اجتمع لدينا نخبة من المؤلفات منها السفور والحجاب للآيسة
 زين الدين . والنكبات للريحاني . وقبض الريح للمازني ونسبات وزوابع وغير ذلك من
 المطبوعات الحديثة . سنوإى نقدها وغيرها تباعاً بعد أن ندرسها على الطريقة التى
 جرت عليها العصور حتى الآن وموعدنا بذلك الاجزاء التالية

حنين بن اسحاق

حياته وأعماله

عن بحث الدكتور مكس ماير هوف

لم يكتب حتى الآن بأية لغة أوروبية ترجمة وافية لحياة حنين الذي يدعوه ليكلرك بأنه « مثال فريد في التاريخ للذكاء النادر والاخلاق الجميلة » بل من أعظم شخصيات القرن التاسع الميلادي »

أما في اللغة العربية فقد أفرد له ابن أبي أصيبعة فصلاً مسهباً ضمنه تاريخ حياته وما ترجمه أو ألفه من كتب ورسائل : وهذا الذي كتبه ابن أبي أصيبعة قد أخذته كتاب العرب والفرنجة مادة يصيغون منها صوراً غير كاملة لحياة حنين . على أن ابن أبي أصيبعة إنما اختزل مقالة ابن القفطي على ما بها من نقص ظاهر . هذا وفي كتاب الفهرست لابن النديم ترجمة قصيرة ناقصة نقصاً كبيراً وكذلك سائر التراجم العربية التي بين أيدينا فإنها بعيدة كل البعد عن أن تفي بالمرام . ولست نجد في جميع اللغات الأوروبية سوى مقالات كثيرة لا تتناسب ومكانة حنين كرجل من رجال العلم . ومن المرغوب فيه ترجمة الفصل الذي عقده ابن أبي أصيبعة عن حنين بن اسحق إلى لغة أوروبية مع ملاحظات انتقادية تصحح أخطاءها وتكمل ما بها من نقص .

ولد أبو زيد حنين بن اسحاق العبادي سنة ١٩٤ هـ في الحيرة (العراق) من أب نسطوري نصراني كان يشتغل بالصيدلة . ودرس الطب هاديء الامر في أكاديمية الطب المشهورة في جنديسابور (بخورستان) من أعمال فارس . وكانت معهداً أنشأه سابور الثاني أحد ملوك بني ساسان في أوائل القرن الرابع الميلادي . وكان أستاذ حنين في هذا المعهد هو يحيى بن ماسويه الطبيب النصراني المشهور ولكن حنيناً كره من أستاذه ما جبل عليه من غطرسة وكبرياء فترك المعهد ثم أمضى في مكان مجهول سنوات عدة حذق فيها اللغة اليونانية . ولما أن تهيأ له

ذلك يعم ناحية البصرة (العراق) وكانت في ذلك العهد أكبر معهد لعلوم اللغة العربية ، وملتقى أقطابها يقصدها الطلاب من كل حذب ليحذقوا العربية ويتفقهوا فيها . وبذلك أصبح حنين يجيد لغات أربع هي : الفارسية ، واليونانية ، والعربية ، والسريانية التي هي لغته الاصيلة . ولما شُخص الى بغداد حوالي سنة ٢١١ هـ على الأرجح دخل في خدمة جبرائيل بن بختيشوع (المتوفى سنة ٢١٤ هـ) أشهر أفراد عائلة بختيشوع التي كان أفرادها أطباء البلاط والتي أصابت عند الخلفاء حظوة وقبولا . وكان هو نفسه طبيب المأمون الخا ص (١٩٨ — ٢١٨ هـ) . ومعروف أن هذا الخليفة العباسي مشجع أعمال الترجمة التي كان يقوم بها علماء عصره من الكتب اليونانية الطبية والعلمية الى السريانية والعربية وقد ترجم حنين الى السريانية لبختيشوع وهو في السابعة عشرة من عمره كتاب جالينوس « في أصناف الحيات » ثم كتابه « في القوى الطبيعية » . لكن حنيناً نفسه لم يرض عن ترجمة هذين الكتابين ولا عن ترجمة كتب أخرى أنجزها في صباه فصحيحها جميعاً بل ترجم بعضها من جديد فيما بعد . لكن جبرائيل اغتبط بذلكاء فتاه وكفايته اللغوية وامتدحه عند الخليفة الذي عينه عيسداً لبنت الحكمة الذي أنشئ سنة ٢١٥ هـ ، واختزن فيه جميع المخطوطات اليونانية التي جمعها المأمون من أماكن كثيرة في أمبراطوريته الشاسعة ومن آسيا الصغرى التي كانت لا تزال تزخر عليها راية الدولة البيزنطية ومن الاستانة . واستخدم فيها رهطاً من شباب المترجمين لنقل الكتب اليونانية الى السريانية أولاً ثم الى العربية ثانياً . وفي أثناء ذلك توفي جبرائيل وأصبح ابنه بختيشوع (المتوفى عام ٢٥٧ هـ) صديق حنين ووليّه الذي يحبوه برعايته . ولقي حنين فوق ذلك من يوحنا ابن ماسويه أستاذ السابق وسامويه بن نمان منافسه العلمي (توفي عام ٢٢٥ هـ) خير عطف وعناية . وقد ذكر حنين نفسه كيف شارك الأخير في بعض غزوات المأمون ضد الدولة البيزنطية . ولما مات المأمون عقب ذلك بقليل عين سامويه رئيساً لأطباء المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) الذي خلف المأمون وأصاب عنده مكانة وحظوة . ومما لا ريب فيه أن حنيناً ظفر منه بصديق قوى استظل بحمايته ، وترجم له خاصة ثلاثة عشر كتاباً

من أهم كتب جالينوس . وأصاب مثل هذه الخطوة عند الرواق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ)
الذى كان يعظم العلماء ويتمشق بحادثتهم . وكان حنين خلال ذلك قد ترجم قدرا
هائلا من كتب جالينوس وغيرها من الكتب الطبية والفلسفية عن اليونانية .
ولقد قام حنين برحلات طويلة جاب فيها أرجاء العراق وسوريا وفلسطين و مصر
(الاسكندرية) سعيا وراء الحصول على المخطوطات العلمية اليونانية . الا اننا
لا نعرف بالضبط فى أى وقت قام بهذه الرحلات . وكان الخليفة وكبار رجال البلاط
يدفعون نفقات هذه الرحلات وأثمان الكتب النادرة . وغنى عن البيان أن كبار
رجال البلاط كانوا هم أنفسهم من جلة العلماء المبرزين فى حلبة المعرفة أمثال بنى موسى
ابن شاكر ومنجم المأمون . وكانوا ثلاثة نخس منهم بالذكر محمد واحمد اللذين كانا
من مشاهير الرياضيين والذين قدما بالاضافة الى حنين بن اسحق ثابت ابن قرة
الحرانى الطبيب الصابى والفلسكى العظيم الى الخليفة . وقد قال ابن أبى أصيبعة .
ان بنى موسى بن شاكر كانوا ينفقون خمسمائة دينار (١٠٠٠ دولار تقريبا) كل
شهر على أعمال الترجمة ويرى حنين نفسه ان ترجمته تحسنت كثيرا بعد أن بلغ سن
الثلاثين . ومن المحتمل ان حبشا ابن أخت حنين اشترك فى أعمال الترجمة
بعد ذلك بقليل مع خله الذى أصبح بفضل حننه عليه أحد مشاهير المترجمين .
وفى أيام الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) بلغ حنين قمة مجده كترجم
ومتطبب . لكنه خلال نفس هذا الوقت نكب بمحن جرها سوء ظن المتوكل
به وحسد زملائه النصارى له . وأول هذه المحن مارواه ابن أبى أصيبعة من ان
المتوكل لما قوى أمر حنين وانتشر ذكره بين الاطباء أمر باحضاره فلما حضر
أقطعه قطاعات حسنة وكان الخليفة يسمع به ولم يأخذ بأى دواء يصفه حتى يشاور
فيه غيره . وأحب امتحانه حتى يزول ما فى نفسه عليه ظنا منه ان ملك الروم ربما
كان عمل شديدا من الحيلة به فاستدعاه يوما وأمر بان يخلع عليه . وأحضر توقيعا
فيه اقطاع يشتمل على خمسين الف درهم فشكر حنين هذا الفعل . ثم قال الخليفة
بعد أشياء جرت : « أريد ان تصف لي دواء يقتل عدوا نريد قتله سرا . » فقال
حنين : « يا أمير المؤمنين انى لم أعلم الا الادوية النافعة وما علمت أن أمير المؤمنين

يطلب مني غيرها . فإن أحب أن أمضى وأتلم فعلت ذلك » فقال الخليفة : « هذا شيء يطول » وزغبه وهدده . فلم يزد حنين على ما قاله . فأمر بحبسه في بعض القلاع ووكل به من يوصل اليه خبره وقماً بوقت ويوماً بيوم . فمكث سنة في حبسه دأبه النقل والتفسير والتصنيف غير مكترث بما هو فيه ، فلما كان بعد سنة أمر الخليفة باحضاره واحضار أموال يرغبه فيها . وأحضر سيفاً ونظماً وسائر آلات العقاب فلما حضر قال الخليفة : « هذا شيء قد كان . ولا بد مما قلته لك . فإن أنت فعلت فقد فزت بهذا المال . وكان لك عندي اضعافه . وإن امتنعت قابلتك بشر مقابلة وقتلتك شر قتلة » . فقال حنين : « قد قلت لأمر المؤمنين إنى لم أحسن الا الشيء النافع ولم أتلم غيره » . فقال الخليفة . « فأنى اقتلك » . فقال حنين : « لى رب يأخذ بحمى غداً فى الموقف الاعظم فإن اختار أمير المؤمنين أن يظلم نفسه فليفعل » فتبسم الخليفة وقال له : « حنين طيب نفساً وثق الينا فهذا الفعل كان منا لامتحانك لانا حذرنا من كيد الملوك واعجابنا بك . فأردنا الطمأنينة اليك والثقة بك لننتفع بعلمك » فتقبل حنين الارض وشكر له . فقال الخليفة : « يا حنين ما الذى منعك من الاجابة مع ما رأيت من صدق عزيمتنا فى الحالتين » . فقال حنين : « شيئان يا أمير المؤمنين . » فقال المتوكل وما هما . قال : « الدين والصناعة » . فقال الخليفة وكيف ؟ قال حنين : « الدين يأمرنا بفعل الخير والجميل مع أعدائنا فكيف أصحابنا وأصدقائنا ، ويبعد ويحرم من لم يكن كذلك . والصناعة تمنعنا من الاضرار بأبناء الجنس البشرى لأنها موضوعة لنفعهم ومقصورة على مصالحهم . ومع هذا فقد جعل الله فى رقاب الاطباء عهداً . وكذاً بايمان مغاظة ، ألا يعطوا دواء قتالا ولا ما يؤذى . فلم أر أن أخالف هذين الأمرين من الشريعتين ووطئت نفسى على القتلى . فإن الله ما كان يضيع من بذل نفسه فى طاعته . وكان يثيبني » . فقال الخليفة : « انهما الشريعتان جليلتان » . وأمر بالخلع نفاخت عايه . وحمل المال بين يديه . وخرج من عنده وهو أحسن الناس حالاً وجاهاً » اهـ

وبعد مضى سنوات قليلة ابتلى حنين بمحنة أخرى اذ كان بختيشوع بن

جبرائيل - وفي رواية أخرى اسرائيل ابن زكريا الطيفري الطبيب النسطوري -
 قد قلب الحنين ظهر الحزن وأصبح يعاديه ويحسده على علمه وفضله وما هو عليه
 من جودة النقل • فاحتال عليه بخديعة عند المتوكل • وتم مكره عليه حتى أوقع
 المتوكل به وحبسه • وتجد وصف محنته تلك في رسالته التي ألفها عما أصابه من
 الحزن والشدائد وتجد هذا الوصف في كتاب ابن أبي أصيبعة .

والظاهر أن حنيننا كان من أنصار الحركة التي اتسع نطاقها في ذلك الوقت
 ونعني بها حركة مانعي الأكرام للصور . ولم يكن حنين ليتألم لشيء مما استصفاه
 الخليفة من متاعه وممتلكاته تألمه لفقدانه كتبه وحرمانه منها . كما يتجلى في رسالة
 صغيرة أخرى بعث بها إلى علي بن يحيى « عما ترجمه من كتب جالينوس بعلمه ومالم
 يترجم » قال فيها : بسبب فقدى جميع كتبى التي جمعتها كتاباً كتاباً في دهرى
 منذ أقبلت أفهم من جميع ما جلته من البلدان ثم فقدتها كلها جملة . . . »

وفي سنة ٢٤٤ هـ افتضح أمر بختيشوع عند الخليفة فنكبه ونفاه إلى البحرين
 (على الخليج الفارسي) ومنذ ذلك الوقت لم ينزعج بال حنين ولم يعكر صفو حياته
 حادث مكرر . فاقبل على الترجمة بحمية وغيرة تدعو إلى الدهشة وعكف عليها حتى
 وفاته • وقد علونه في مهمته تلك ولده إسحق ابن حنين وابن اخته حبش ورهط
 من التلاميذ نذكر منهم عيسى بن يحيى بن إبراهيم وهوشى بن خالد وأبا عثمان
 سميداً وعيسى بن علي • لكن أحداً من تلاميذ حنين الذين دربهم في بيت
 الحكمة لم يصل إلى مثل مهارة أستاذه • يؤيد ذلك ما رواه ابن أبي أصيبعة عن
 موسى ابن خالد الترجمان قال : « وجدت من نقله كتباً كثيرة منها الستة عشر
 مقالة لجالينوس وغيرها • وكان لا يصل إلى درجة حنين أو يقرب منها »

عاش حنين عشرين عاماً بعد نكبه الأخيرة مبعجلاً من الخلفاء الآتين
 وهم : المنتصر (توفي عام ٢٤٨ هـ) والمستعين بالله (توفي عام ٢٥١ هـ) والمعتز
 (توفي عام ٢٥٥ هـ) والمهتدي (توفي عام ٢٦٦ هـ) والمعتد (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ)
 وتوفي خلال خلافة الأخير كما جاء في (الفهرست) سنة ٢٦٠ هـ ولكن الأرجح هو
 أنه قضى نحبه لست خلون من صفر سنة ٢٦٤ هـ كما جاء في كتاب (عيون

الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة . وكانت مدة حياته سبعين سنة وقيل انه مات بالذرب . وقيل إن حنيناً بدأ ترجمة كتاب « في قوام الصناعات » لجالينوس قبيل وفاته بشهرين لكنه لم يتمه

ومما يؤسف له أننا لانعلم الشيء الكثير عن طريقة العمل التي اتبعها هذا العلامة الذروب في حياته العلمية . ولم يكتب ابن خلكان في كتابه « وفيات الاعيان » الذي ألفه في سنة ٦٥٤ هـ عن أسلوب حنين في حياته اليومية سوى النبذة الآتية التي نقلها عن رسالة مفقودة من تصنيف عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع (توفي عام ٤٥٠ هـ) وهي : —

« وكان حنين في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصب عليه الماء ويخرج . فيلتف بقطيفة وقد أعد له هذاب من فضة فيه رطل شراب وكعكة مثرودة فيأكلها ويشرب الشراب ويطرح نفسه حتى يستوفي عرقه . وربما نام ثم يقوم ويتبخر ويقدم له طعامه وهو فروج كبير مسمن قد طبخ زيرباجة ورغيف فيه مائة درهم . فيحسو من المرق ثم يأكل الفروج والخبز وينام . فاذا انتبه شرب أربعة أرطال شراباً عتيقاً . ولم يذق غير هذا طول عمره ، فاذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي والرمان والسفرجل »

حياة حنين العملية

كان حنين متطبباً ممتازاً ذا حظوة عند الخلفاء . وقد نوه ابن أبي أصيبعة بمهارته الخاصة في معالجة أمراض العين ولكن أهم جانب من حياته العملية هو تراجمه التي من بينها كل مصنفات جالينوس تقريباً . ترجمها من اليونانية الى السريانية والعربية

الكتب التي ترجمها حنين

نحن الآن على علم تام بهذا الجانب من حياته العملية بفضل رسالته الى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس التي يوجد منها نسختان خطيتان في مكتبة (جامع أياصوفيا) بالاستانة (تحت نمرة ٣٦٣١ ونمرة ٣٥٩٠)

ويؤخذ من قائمة وضعها حنين وأتمها أحد تلاميذه أو أصدقائه أنه ترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وثلاثين وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين وعدا ذلك فإنه راجع وأصلح ما ترجمه تلاميذه وهي ستة إلى السريانية . ونحواً من سبعين إلى العربية . كما راجع وأصلح معظم الحسنين كتابا التي كان قد ترجمها إلى السريانية سرجيس الراسعيني ويعقوب الرهاوي وسواهما من الأطباء المتقدمين .

وقد نقل براون (ص ٢٦) عن كتاب الفهرست « إن حنيناً كان في الغالب يترجم من اليونانية إلى السريانية بينما كان حبش يترجم من السريانية إلى العربية ويعود حنين فيراجع الترجمة العربية ، على أن حنيناً كان في بعض الأحيان يترجم من اليونانية إلى العربية رأساً » وكانت التراجم السريانية تعمل في الغالب للأطباء والعلماء النصارى أمثال جبرائيل بن بختيشوع ويوحنا بن ماسويه وسامويه بن بنان وبختيشوع ابن جبرائيل وزكريا الطيفوري وولده اسرائيل وشيريشع بن قطرب وسواهم ، وكانت التراجم العربية تعمل لأعظم المسلمين الذين اعتنق الكثير منهم الإسلام حديثاً أمثال علي بن يحيى كاتم سر المتوكل على الله وصديقه ومحمد بن عبد الملك الزيات وزير الخليفة المعتصم . ومحمد واحمد بن موسى اللذين كانا من مشاهير الرياضيين وعلماء الطبيعيات ، واحمد بن محمد المدير وإلى مصر في أيام المتوكل ، واسحق بن ابراهيم الطاهري وإلى خراسان في أيام المأمون ، واسحق بن سليمان أحد ولاة مصر السابقين

وكان أسلوب حنين في الترجمة رائعاً ووافياً باغراض علم اللغات الحديث تماماً ، وكان ينتقد في عنف تراجم المتقدمين وتراجمه هو أيضاً لما كان شاباً ، وقد ترجم معظمها من جديد . ومن قوله في رسالته إلى علي بن يحيى المذكورة آنفاً عن كتاب (في الفرق) لجالينوس : « ترجمته وأنا شاب ... من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لما بلغت الأربعين من عمري طلب إلى تلميذي حبش أن أصلحها بعد إذ كنت قد جمعت قدراً من المخطوطات اليونانية . وعند ذلك رتبته هذه بحيث نسقت منها نسخة صحيحة . قارنتها بالنص السرياني ثم صححتها . وتلك عادتي التي اتبعتها في كل ما ترجمته . وكان حنين يتجشم رحلات طويلة بغية

الحصول على النسخ الكاملة مثال ذلك : كتاب (في البرهان لجالينوس) الذي كان نادر الوجود في القرن التاسع الميلادي . والذي قال عنه حنين : « انني بحثت عنه بحثا دقيقا وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر الى أن وصلت الى الاسكندرية لكنني لم أظفر الا بما يقرب من نصفه في دمشق »

ويرى برجستراسر أستاذ اللغات السامية في جامعة ميونيخ وأعظم حجة في تراجم حنين العربية : ان حنينا ، وحباشا أفضل تلاميذه الذين تجشموا عناء كبيرا في التعبير عن معنى أصول الكتب اليونانية بقدر ما استطاع من الوضوح . وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتى ولو ضحيا في ذلك بجمال اللغة وتنسيق ديباختها . ولكن تراجم حنين أفضل ودقتها أعظم . ومع ذلك فان الانسان ليخيل اليه أنها ليست نتيجة مجهود صادق ولكن نتيجة تمكن وثيق من اللغة وحسن تصرف في مذاهبها . ويتجلى هذا في سلاسة التوفيق بين اليونانية والعبرية والدقة المتناهية في التعبير مع الایجاز — تلك هي مميزات فصاحة حنين التي اشتهر بها . ولقد أنهب (براجستراسر) في دحض رأی (سيمون) من أن تراجم حنين وحباش حافلة بالفقرات المنتحلة الغربية عن الاصل : ويرى أن طريقة كليهما في التعبير ليست على الدوام جميلة ولكنها على الاقل حرفية . هذا ويوجد عدد عظيم من مترجمات حنين لكتب جالينوس في المكاتب الاوروربية وبالاخص في مكاتب الاستانة . وهي مودعة هناك في انتظار فحصها ثم طبعا مع التعليق عليها وشرح غامضها . أما تراجم حنين الاخرى التي لا يتحدث عنها في كتابه فاننا اقل علميا بها . والرسالة الآتية الذكر توقفتنا على عدد معين من تراجم حنين لكتب ابقراط . مثال ذلك كتاب العضول مع حاشية جالينوس عليه المترجم الى السريانية والعربية وكتاب الكسر وكتاب الخلع وتقدمة المعرفة وتدبير الامراض الحادة وكتاب في (القروح) وكتاب جراحات العين وكتاب الاينيميا أو كتاب الامراض الوافدة وكتاب « في الاخلاط » وكتاب (فاطيطيريون) وكتاب الاهوية والمياد والبلدان وكتاب الغذاء وكتاب طبيعة الانسان . وقد أتم تلاميذ حنين شطرا من ترجمة تفسيرات جالينوس الى العربية . وقد ترجم حنين الى السريانية كتاب العهد أو الايمان

مع تفسير جالينوس الذي يرجح إطلاقه . وشروح حنين لبعض فقراته الصعبة مع التفسير المزعوم انه لجالينوس والذي يرجح انه لسواه . وقد ترجمه حبش واسحق بن حنين الى العربية . ونحن نعرف فوق ذلك من كتاب الفهرست ان حنينا ترجم كتاب الكنانيش لاورباسيوس بحذافيره وكتابه الى أوناببيوس وكتاب السبع مقالات لبولس الاجنيطي . والمادة الطبية لديوسقوريدس . وكلها كتب ضخمة جدا . ولنا نعرف بالضبط مقدار نصيب حنين في ترجمة مؤلفات رفس وفيلاغريوس . ولكن نسخة باريس الخطية تعزو اليه ترجمة كتاب الجراحة وكتاب الطب البيطري لیتومنيستوس . ولقد ترجم حنين من كتب الفلسفة الى السريانية كتاب العبادة لارسطو الذي ترجمه ولده اسحق الى العربية . واسحق هو أعظم مترجم لكتب ارسطو الى العربية . ولقد راجع حنين كثيراً من تراجمه . ويعزو اليه كتاب الفهرست (ص ٢٥١) ترجمة كتاب الكون والفساد الى السريانية وفي ليون نسخة من كتاب الطبيعة لارسطو منسوبة ترجمتها الى حنين . ولكن هذا غير محقق . اما عن كتاب في (النفس) فالارجح ان حنينا ترجمه الى السريانية بينما ان مترجمه الى العربية مجهول وتعزى الى حنين ترجمة كتاب جوامع فلسفة ارسطو لنيقولاس الدمشقي كما يعزى اليه ترجمة كتب اسكندر الافروديسي والمدخل الى الفلسفة لفورفوريوس وشرح تاميستيوس لكتب ارسطو . ويعزى اليه فوق هذا تفسير رياضي لكتاب أوطوقيوس في الكرة وفي الاسطوانة .

ونحن على ثقة من ان كثيراً من ترجمة الكتب الزائفة المذكورة آفا قد نسبت خطأ الى حنين اذ كانت تلك عادة بعض مؤرخي تراجم الحياة في اللغة العربية . ومما أوقعه في هذه الاخطاء تشابه اسم حنين وحبش في الكتابة الخطية على عهد ان الحروف كانت لا تنقط . وعدا هذا فقد نزع الكثيرون من أطباء العرب في القرون المتأخرة الى استعارة اسم حنين لمؤلفاتهم الزائفة . ونثبت في النهاية قول ابن القفطي ان حنينا ترجم الى العربية كتاب العهد القديم من اليونانية وكان قد ترجم من العبرية خلال حكم بطليموس فيلادلفيوس . وقد فقدت للإسف

هذه الترجمة كما فقد سائر تراجمه الى السريانية وشرطا كبيرا من تراجمه العربية .

مؤلفات حنين

لحنين مؤلفات باللغتين العربية والسريانية . فاما عن الثانية فاننا لانعلم الا القليل ولم تسلم لنا منها نسخة واحدة كاملة
وقد أورد ابن أبي أصيبعة أكل قائمة في اللغة العربية وهي تحتوى على أكثر من مائة كتاب في مختلف فروع الطب . وأهم هذه الكتب كتاب العشر مقالات في العين الذى يعتبر أول كتاب في طب العميون الف على الطريقة العلمية .

الموقف السياسي

أما تحكمهم الأغلبية وأما إلغاء الدستور

- تمهيد — ١ — حكم الاكثرية — ٢ — حزب الاغلبية — ٣ — إلغاء الدستور — ٤ — وما خفي كان اعظم — ٥ — الوزارة الجديدة — ٦ — ثم يقولون — ٧ — الصريح والمغشرة — ٨ — اين الدستوريون ؟ — ٩ — طريق واحد

— تمهيد —

لامفر لنا من أحد أمرين . يجب أن نواجه فيهما الحقيقة المرة .
فأما أن تحكم الاغلبية البلاد . وأما أن يلغى الدستور . ولا مرء في أن
الالتجاء الى أحد الأمرين أهون علينا وأرضى لعقولنا من أن يكون
لنا دستور أقسم جلالة الملك على احترامه ، وأقسم النواب بيمين الأمانة
له ، ثم تحكمنا أقلية رغم أنوفنا ، وعلى الضد من اراداتنا .
وباليتها وقفت عند الاقلية التي تحترم فيها صفات أفرادها الذين
يكونونها ، بل هي أقلية ائتلافية ، الاغلبية فيها من حزب الاقلية ،
والاقلية فيها من حزب ، هو أجدر الاحزاب بأن يدعى حزب الخنافيش
الذين لا يرون الا في الظلام ، ولا يبتدون الى غرضهم الا في ظلمة الحلك ،
بل هو حزب مبنوخ ماعون من مصر ومن أهل مصر في الدنيا
والآخرة .

١ — حكم الاكثرية

يقولون في أول ما يقولون به إن الاغلبية من الرعاع والسوقة ،
واسيت أدري في أية أمة كانت الاغلبية من الفلاسفة والمصلحين .

ثم يقولون بأن الاغلبية تحتكم في مصالح البلاد بما ترضى شهواتها .
ولست أدري متى وفي أى وقت حكم حزب من الاحزاب مصر حكم
النزاهة والشرف .

ثم يقولون بأن الأمة لا يصح أن يكون حكمها مقطوعاً بصحته
فيمن ترضى أن يكونوا حكامها المعبرين بأسانها ، ولست أدري لماذا
يعطون مثل هذه الامة حقاً تسمى استعماله — اذا كانوا لا يأنسون من
الامة رشداً .

ثم يقولون بأن الدستور منحة إن شئنا تركناه وان شئنا أخذناه ؛
ثم هم يقسمون على احترامه وأن مصدر السلطات كلها الامة .
ثم يقولون بأن من حق جلالة الملك أن يقيل الوزارة بنصر الدستور .
ولكن الا ينص الدستور بجانب هذا أن حزب الاغلبية هو الذى
يحكم البلاد ويكون مسؤولاً امام البرلمان الا اذا اولى غيره من الاحزاب
ثقتهم او تركه يحكم البلاد تحت اشراف البرلمان ؟

ثم يقولون بأن حزب الاغلبية يسمى استعمال السلطة التى يخولها
له الدستور ، ولكن هل لسلطة غير سلطة الامة أن تحاكم من أساء
استعمال سلطاتها .

ثم يقولون بأن الامة خاضعة ، نعم ولكن لمن اوتاهم ثقتها ؛ فهل
لغير هؤلاء تخضع ؟

ثم يقولون بأن الثقة التى توليها الامة لحكومة الاكثرية انما
هى ثقة لا وزن لها لان الامة لا تقدر حقوقها وواجباتها . فليكن .

ولكن هذه الامة ذاتها تعلم أن لها دستوراً وتعلم بجانب هذا أنها راضية عن حكم الاغلبية التي أولتها ثقتها . وكفى .

ثم يقولون بأن الامة ليس لها أن تعدل في تكوين أحزابها كما تشاء ، ولذا ينصرون حزباً على حزب وفريقاً على فريق . وإذا سألتهم لماذا ؟ يقولون خير الامة ! وهذا غريب . لان الامة رفضت مراراً عديدة ذلك الخير الذي أرادوه لها وشكرتهم على حسن نياتهم . ثم من بعد ذلك يقولون « الامة تريد والامة لا تريد » كأن ذلك الدوى الشديد الذي خرق صماخ وزارة الخارجية البريطانية لم يعم بعد جنبات القاهرة ، ولم يصل بعد إلى آذانهم .

كل هذه المتناقضات تقوم بقيام الدستور . ولا مرء في أن المخرج الوحيد من هذا التناقض ينحصر في شيئين لا ثالث لهما : فاما حكم الاغلبية واما إلغاء الدستور .

- ٢ - حزب الاغلبية

يقولون بأن حزب الاغلبية لا يعبر عن رأى العقلاء . ويقولون بأنه لا يفسر حقيقة الموقف السياسى تفسيراً صحيحاً . ويقولون بأنه لا يعرف الحق من الباطل . ويقولون بأنه لا يميز بين الشر والخير . ويقولون بأنه لا يريد الآن يستغل الامة لمصالحه ومصالح أفرادها . ويقولون بأنه يستخر الدستور لمصالح رئيسه وأذنا به . ويقولون ويقولون . ولكن ماذا يكون قولهم اذا سلمنا لهم جدلاً بان كل هذا صحيح ، وأنهم جميعاً من هذه التهم التي يكيلونها لحزب الاغلبية أبرياء ، وقلنا لهم بجانب هذا أن هذا الحزب على مفاسقه ومفاسده هو الحزب الذى تريده الامة ؟ لا جرم أنهم

لا ياجئون الا لاحد أمرين . فاما ان يلغوا الامة أو يلغوا الدستور .
 فليشمرُوا عن سواعدهم . فالامة اكملها الفقر والعوز . وهم يتناحرون على
 مسرح السياسة . والدستور أصبح هيكلاً نخرأ بعد ان اعتدت عليه
 الايدي الاثيمة سواء في ذلك حزب الاكثرية والاقلية . فالأكثرية
 تستعين عليه بسلطتها ، والاقلية تستعين عليه بمن لا يعلم امره الا اعلام
 الغيوب :

٣ - الغاء الدستور .

يقولون بأن الدستور منحة منحتها الامة من السلطة الفعلية ووافقت
 عليه السلطة الشرعية . ويقولون بأن ابناء مصر لا يعرفون من معنى
 الدستور الا الاسم . ويقولون بأن « منح » الدستور كان قبل اوانه ،
 ويقولون بأن الامة من الواجب ان تتدرج في الحكم شيئاً فشيئاً ، حتى
 تكون اهلاً لان يكون لها دستور . ويقولون بأن المنحة من حق
 مانحها . ويقولون ويقولون !

فلماذا اذن لا يشيرون على مانح الدستور سورة حق واعتقاد بأن
 يلغى الدستور وأن يسترد المنحة ، وكفى الله المؤمنين القتال . لماذا يعلنون
 كل يوم بانهم حماة الدستور وأنهم خالقوه وأنهم مانحوه دون مانحه ،
 ولماذا يتيهون على الامة عجباً ودلالاً ، بأنهم الدستور ؛ وان الدستور هم ،
 في حين أنهم لا يظهرون الا على اتقاضه ولا يقومون الا على دارس
 أطالاله ، ينوحون على الحرية المخدولة وعلى الحى المستباح ؟

لا أريد أن أنصر حزب الاغلبية ولا أريد أن انتقد حزب الاقلية
 ولكن اريد ان لا اسير في الظلام . اريد طريقاً واضحاً سهلاً . فأما ان

اكون حراً فليستعمل حقى فى الحرية واحكم كما اريد ان خيراً نغير ، وان
ثراً فثراً ؛ وذلك حتى الطبيعى ، واما ان اكون غير حر ، فاخضع لذلى
وانزوى مسكيناً حقيراً .

احد امرين ايها السادة النبلاء . إما حرية تستعمل كيف تشاء
الامة مصدر السلطات . واما استبداد ينصرف الى حيث تهب رياح
الحوادث .

٤ — وما خفى كان اعظم

اذا كان هذا ما يقولون ، او بعض ما يقولون ، واذا كان هذا جزء
من مجموع المتناقضات التى تقوم مع قيام الحكم الدستورى ، واذا كانت
هذه هى النزعات التى تقوم فى صدر الذين يشتمون حكم هذه الامة بالحق
او بالباطل ، وسيان عندكم حق وباطل لان الامة « على الرف » ، واذا
كان هذا ما يجول فى خاطر الذين يريدون ان ينظروا فى امر الحرية
المستباحة نظراً « مستقيماً » غير معوج ، واذا كان هذا هو الظاهر ، فلا
جرم ان ما خفى كان اعظم .

٥ — الوزارة الجديدة

سوف تتشكل ، او ان شئت فقل تشكلت ، من حزب الاقلية
فى مجلس النواب يعاونه افراد من حزب الخفافيش او حزب الاتحاد ،
او حزب نشأت . اذن سيقوم حزب الاحرار الدستوريين حيث اقام
نشأت . واذن سيكون لحزب الخفافيش يد فى حكم هذه البلاد . فالاىهم
عفوك وغفرانك .

ومن يدرينا ، فاعل قراء هذه المجلة لا يقرؤون هذه السطور إلا

ويكون نشأت قد ظهر على مسرح السياسة . ويكون البرلمان قد حل
وذهب في خبر كان ، او مايجرى مجراها .

ولكن يجب ان نواجه الحقيقة المرة . يجب ان نقدر الموقف

تقدير من لا يريد ان يسلك حيث تسلك الخفافيش

سوف تتشكل الوزارة وسوف يقوم الحكم في البلاد على اقلية

تعاونها بضعة من الخفافيش . اذن وجب علينا ان نقدر ان نتقدم الوزارة

الى البرلمان ببرنامج تطلب ثقته ، فاذا اولاهها الثقة كان خيرا ، واذا لم يلها

ثقتة ، وذلك مفروض فرض تعيين ، كان امامها أحد أمرين . فاما الاستقالة

واما حل البرلمان . فاذا استقالت وجب ان يعين غيرها . فاما من حزب

الاقلية . فيكون مصيرها مصير سابقها . واما من حزب الأغلبية . واذن

تكون اقالة الوزارة الاولى عبثاً . واذا حل البرلمان ، كان امام الوزارة أحد

طريقين . فاما ان تعيد الانتخابات وتيجتها من الآن معروفة وانها سوف

تكون مع الحزب السعدى . وهناك اما ان تسقط هذه الوزارة وتستخفى

الخفافيش ، واما ان يلغى الدستور ، وفي اعتقادى ان الحل الاخير اوفق

الحلول . ولخير لى ان اكون عبداً اطالب بحريتي ؛ من ان اكون حراً

لا أساوى العبيد .

٦ - ثم يقولون

ثم يقولون بأن النحاس رئيس حزب الأغلبية ورئيس حكومة

الأغلبية قد ارتكب جرماً واقترف اثماً . يقولون بأنه حاول ان ينصب

بحكم مركزه فى الوزارة وفى حزب الأغلبية . ويقولون بأنه ورئيس

مجلس النواب ونائب ما من النواب الذين شاء القدر ان يكونوا نواباً

قد احتالوا على وكيل دائرة سيف الدين . وأمضوا معه عقد أو فسرهُ النائب بخطاب ، فكان من مجموع ذلك ظرف يعاقب عليه القانون . ويقولون بأن رئيس الوزارة رجل عمومي للأمة أن تطلب محاكمته ، بل لأنكون قد تجاوزنا حد الأدب إذا طلبنا من جلالة الملك أن يأمر بمحاكمته ، باعتباره حارس الدستور الأول والمثل الأعلى في احترام العدل والحرية . بل لا نقول لهم اطلبوا محاكمة النحاس ورئيس مجلس النواب ونائب من النواب لا غير . بل نقول لهم إذا ثبتت عليهم التهم إذن فاسجنوهم أو انقوهم أو حرقوهم أو قطعوهم إرباً أو اشنقوهم ، فالحبال كثيرة والجلاد بالمرصاد . ولكن لا تشنقوا معهم الحرية ولا تعذبوا بالدستور باسم الدفاع عن الدستور . فالأمة لها رأيها ولها أغايتها ولها ارادتها التي يجب أن تحترم والتي يجب أن تخفى لها اكبر الرؤوس ما دام قد اعترف بحقها في الحرية ، وفي أن تحكم على الوجه الذي تريده هي لا الذي يريد له غيرها . او هنالك مشورة اخرى هي اخرى بكم وانتم اخرى بأن تنفذوها . وعندى ان الاخذ بها ارضى للعقل وارضى لزام الفكر . مشورة لاثاني لها اذا اترتم ان ترضوا عقولنا . الفوا الدستور اولاً ، ثم اشنقوا النحاس وصحبه في اوسع ميدان من ميادين العاصمة .

— ٧ الصفح والمعدرة

لست من حزب الاغابية ، ولست من حزب الاقلية . لست من السعديين فينتصر لي الرعاع ولست من الدستوريين فينتصر لي العقلاء . بل انى والله الحمد من حزب « الماحقات » . من حزب الخيال والوهم . من حزب الاربعه بلايين التي اخذناها من الانجائز ابان الحركة الاخيرة

لننصر الأنجائز على سعد . رحم الله هذه الملايين الاربعة فقد ظلمنا طوال عشر السنوات الاخيرة ومعنا ملحقاتنا لانملك ثروى فقير .

انما اطلب الصفح والمغفرة لأننى فى موقفى هذا ادافع عن حق البلاد . ادافع عن الحرية المستباحة والحقى المداس بالاقدام . لا يعينى بعد ذلك اساءت الامة استعمال هذا الحق أم احسنت فيه . لا يعينى فى الامر بعد الحرية الا ان اكون معارضا نزيها ، احترم حق الامة ، ولكن لا افوت للاغلبية هفوة تأتىها .

اطلب الصفح والمغفرة لا من احد معين ، بل من كل الاحزاب ، وقد تكالبت على الظواهر تكالب السباع الجائعة على الرمم المنتنة ؛ حتى لقد نسيت ان للامة حقوقا يضحى بها ، وأن لها حرية توطأ بالنعال .

٨ — ابن الدستوريون ؟

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لاحياة ان تنادى
يايها الدستوريون هبوا من مضاجع الوزارات فالدستور فى الحضيض . تنبهوا قايلا فحق الحكم للامة والامة تريد الاغلبية ، فهل لكم ان تكونوا « دستوريين » بحق وأنتم تتريعون فى دست الوزارات على الرغم من انف الامة وأنف الدستور وأنف الحق نفسه .
يايها الدستوريون ! ان لكم حق المعارضة وليس لكم ان ترغموا على الائتلاف . صدعوا الائتلاف وأضربوا بالنحاس وصحبه عرض الافق والافسح ، ولكن لاتضربوا معهم الحرية الدستورية فتضربوا بأنفسكم الارض .

يايها الدستوريون ! بالامس اتفقتم مع حزب الخفافيش فساروا

بكم في الظلام وما اخرجوكم الى النور الا وانتم حيرى لا تعرفون الطريق .
واليوم تأتافون وحزب الخفافيش لتخرجوا من بعد عمياً لا تبصرون .
يا أيها الدستوريون . ! مالكم مفر من احد امرين . فاما اعادة
استفتاء الامة وعندها ترجع الاغلبية التي تحتلون اليوم مراكزها في
الظلام . واما ان تأنوا الدستور فنكونوا قد عاندتم اول مبدء من
مبادئكم بل اول سنادة من سنادات وجودكم .
يا أيها الدستوريون ! هلى تسمعون ؟

٩ - طريق واحد

نؤمن بأن اغلبية السعدين في مجلس النواب ساحقة وانها اكثر
مما يجب ان تكون . ونؤمن بأنه من الارفق بمصالح هذه الامة ان يكون
بين الاغلبية والاقلية تقارب ما في القوة والاستعداد . ونؤمن بأن
اضعاف حزب الاغلبية يكون اكثر عوداً بالنفع على شكل الحكم وعلى
البلاد . ولكن لا نؤمن بجانب هذا ان تداس الحرية ويقتبر العدل تحت
عنوان الاصلاح الموهوم . وتحت عنوان الاخذ بيد الامة لتعرف حقائقها
لا تريد ان تعرفه بطريق القهر والارغام .

إنما تكون اقرب الى الهدى اذا تركنا الدستور كاملاً وحق الامة
في تطبيق دستورها كاملاً فيحكنا حزب الاغلبية كما يريد ، وتقوم
ازاءه بمعارضة نزيهة اساسها التعاون على الاصلاح قبل كل شئ ، فننال
من ائمة قدرأ ينقده حزب الاغلبية على مدى الزمان حتى تتوازن اقوى
من طريق طبيعي معقول . هذه هي الخطة الحكيمة اما الاضطهاد فمن

شأنه ان يزيد الاقلية قوة، اذا عمدت اليه ، وان يزيد الاكثرية كثرة .
وتلك طابائع الاجتماع .

اما اذا اردتم غير هذا فالغوا الدستور ، واذن نستريح وترضى
عقولنا وضماثرنا . ونخيرلى ، كما قلت اولاً ، ان اكون عبداً اطالب بحريتى ،
من ان اكون حراً لا أساوى العبيد .

بوليطني قوس

شريد ايطالى

يصبح ملكا فى جزيرة مدغشقر

١٧٩١ - ١٨٢٨ - ١٩٢٨

٥٧٧٠

اعتادت أسرة « بونيتو » الايطالية ، وهي أسرة تتمهن الزراعة ، وكانت تعيش فى مقاطعة « فريولى » فى أوائل القرن التاسع عشر أن يردد أفرادها الكلمات الآتية :

« عند ما يعود أخونا فرانشسكو من أفريقية سنكون قادرين على أن نشترى بيتاً صغيراً ، وتعيش عيشاً أكثر رغداً . »

أما فرانشسكو هذا فقد مات فى جزيرة مدغشقر ، تاركاً ميراثاً يقدر بخمسة وسبعين مليوناً من الليرات الايطالية ، هو برمته حق لأقاربه الذين تركهم يفلحون الأرض على ضفاف نهر « البياف » بايطاليا . غير أن أقاربه ظلموا لا يعرفون شيئاً عن ذلك الميراث الكبير الذى تركه لهم فرانشسكو ، وماتوا جميعاً وهم يحلمون بذلك البيت الذى عملوا النفس بأن يملكوه يوماً من الأيام . أما أخبار ذلك الشريد فلم تصل الى مسامع أحد من أهله إلا بعد ثلاثة أجيال سويًا . وهم بعد فى فقر مدقع ، وليس لهم من المؤهلات التى يحتاج اليها أهل هذا الزمن للدفاع عن حقوقهم من علم أو تهذيب أو قوة ، كثير أو قليل . ومع كل هذا فإن الأمل لم يمت فى نفوسهم ، فاحتفظوا جيلاً بعد جيل بشهادة ميلاد عمهم الأكبر فرانشسكو ، وبعض الوثائق الأخرى التى تثبت قرابتهم به .

ومنذ عهد قريب ، وبعد مائة سنة كاملة من وفاة هذا الشريد ، ولج مزرعة أسرة « بونيتو » على نهر البياف شخص غريب الأطوار ، غير أنه ممن يعتمد عليهم ويوثق بهم وبعد أن استوثق لنفسه أخبر أسرة بونيتو بأن فى استطاعه أن يرد اليهم ميراثهم الشرعى ، وأن يساخذ بيده فى هذا الامر شخصان لا يبوح

باسميهما . أما هذا الميراث فيتكون من مزرعتين كبيرتين . وكل الذين يعيشون على نخوم هاتين المزرعتين يعرفون هذا السر بتفاصيله ، ولكن الويل لمن يبوح ، والموت لمن يفشى سر أبي الهول .

ولقد نشرت أخبار كثيرة عن فرانشسكو بونيتو منذ أن مات في سنة ١٨٢٨ ولد هذا « الملك الشريد » في سنة ١٧٩١ ، وخرج من قرية « فيتوريو فينيتو » الصغيرة هارباً من وجه الشرطة وقد تعقبته لتقبض عليه ، فسولت له شجاعته وحب المخاطر أن يلجأ إلى أفريقية حيث يكون في مأمن من أن يناله عدل القضاء الإيطالي .

وصودف أن اتصل ببعض إنجليز للتبشير فرافقهم إلى جزيرة مدغشقر ، حيث وقعت « رافافولو » الصغيرة ملكة قبيلة « الهووا » في حبائل غرامه . ولقد نال عدة انتصارات عديدة في حروب وقعت بين قبيلة « الهووا » وغيرها من القبائل فذاع صيته وعمت شهرته ، فنصب في مكان الزعيم الحربي للقبيلة ، وتزوج من الملكة الصغيرة فأصبح بذلك الشريد الإيطالي ملكاً مطاعاً في أرض مدغشقر .

وحكم الشريد تحت اسم الملك « راداما » الأول ، وأكثرت الفتوحات والسلب . وكون جيشاً كبيراً غزى به غيره من القبائل وعقد معاهدات مع بعض الأمم الأوروبية وجمع ثروة طائلة أودعها شركة الهند الشرقية .

غير أن زوجته ، الملكة الصغيرة ، بدأت تأكلها الغيرة لأن زوجها كان محبوباً من كل بنات الجزيرة . وفي سنة ١٨٢٨ أرادت فرنسا أن تملك الجزيرة وأرسلت جيشاً تغزوها على الرغم من أن إنجلترا كانت قد أعلنت استقلال الجزيرة استقلالاً تاماً . وفي هذه السنة نفسها مات فرانشسكو بونيتو « ملك » مدغشقر في سن السابعة والثلاثين ، مسموماً على قول البعض ، وقتيلاً في إحدى المواقع التي قامت بين أهل الجزيرة وجيوش فرنسا على قول آخرين .

وظل اسم الاسرة الأصلي « بونيتو » نسياً زماناً ما ، لأن هذا الملك الشريد ، كان يعرف دائماً باسم « فرانشسكو رى » مما جعل أسرة من أسر مقاطعة « ييدمونت »

في إيطاليا اسمها « ددرى » أن تدعى وراثتها للشريد الإيطالي وطالبت بأن تقسم ميراثه الكبير .

ويقول الآن بعض الباحثين أنه لاشبهة مطلقاً في قرابه أسرة بونيتو لفرانشيسكو العاريد . غير أن ما ينتظر الآن ظهوره بفارغ الصبر هو ظهور شخصية أولئك الأشخاص الثلاثة الذين ظلموا يحافظون على ثروة « الملك » الإيطالي طوال هذا العهد الطويل ! ولا شك في أنهم قد توارثوا هذه المهمة منذ ثلاثة أجيال على الأقل . وما أحسن قول الشاعر :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

أميل لودويج

صورة

أتحت ألمانيا العالم بعد ان وضعت الحرب أوزارها كاتباً فذا اشتهر بنوع جديد من الادب هو تصوير الحياة بالكلمات بحيث تبدو كأنها قد أبدعها فنان طب بتنسيق الالوان والتجويد في ابراز خطوطها وظلالها . ذلك هو أميل لودويج اليهودي الاصل والالماني الثقافة

ناهر أميل لودويج السابعة والاربعين من عمره وكان قبل اشتغاله بالادب يمتحن الحمامة ويتخذها صناعة له . الا أنه ما كاد يستوفى الخامسة والعشرين حتى نزع الى الادب لانه كان منذ نعومة أظفاره شديد الميل الى التأليف المسرحي . اذ كان قد ألف قبل أن يبلغ الرابعة عشرة من عمره قدراً عظيماً من الروايات المسرحية فقد معظمها وأخرج منها عدد ليس بالقليل . وما زال حتى الآن يؤلف الدرامات نثراً ونظماً . ولعل الصرافه الى كتابة تواريخ الحياة على الطريقة التي يصفها فيما يلي هي نجاح الكتاب الذي روى فيه قصة حياة بسمرك في أسلوب جديد أعتبر في ألمانيا فتحاً فنياً وأديباً واليك ما قاله عن طريقته :

« إني لما كنت بحكم مولدي وتربيتي وعائلتي من المفكرين الديمقراطيين لم أسخر قلبي قبل الحرب في خدمة الامراء . وفي خلال الحرب لم أكتب كلمة واحدة ضد أي شعب من الشعوب . فلما انتهت الحرب بويلاتها كنت على الدوام أناصر الجمهورية . ولكنني كنت على الدوام أمنح نفسي كامل الحرية في أن أكتب عن أهل النباهة وأصحاب العبقرية من أي بلد كان ولأي شعب انتسبوا . »

« انما يشوقني قبل كل شيء حين بحثي في حياة هؤلاء الرجال أن أعين الحد الفاصل بين العبقرية والاخلاق . ولقد فطن الكتاب في انجلترا بداعة ذي بدء الى وجوب ملاحظة العوامل الانسانية والانسانية الكاملة وعدم اغفالها في كتابة التراجم بل من اللازم توكيدها . ومنذ ان فطنت الي صواب ما ذهب اليه

كتاب الانجائز وجايل قيمته شرعت أدأب في رسم صورة حياة جوتة وسواه من المفكرين ونابليون وغيره من رجال العمل . وكانت بعض الصور التي رسمتها صغيرة هي عبارة عن « كروكيات » وبعضها مسهب والبعض الآخر بين هذه وتلك . « وأبغض ما يكون الى تلك الروايات التاريخية التي تزيف التاريخ وتمسحه وتزيف الفن القصصى في وقت معا . ان مثلى الأعلى هو رواية مبنية على تفاصيل دقيقة يؤيدها التاريخ ويجزم بصحتها ولكنها مع ذلك تزداد جلاء ونصوعا ودقة بما ينسجه الخيال من خيوط

ان تلك المهمة على غاية السهولة « للفنان الاديب الذي يعلم أن المصائر الانسانية وما قدر لبنى البشر صغيرهم وكبيرهم على حد سواء مقررة مبتوت فيها ويعلم على ذلك أن الله هو أسمى الروائيين على الاطلاق »

هذا وأميل لودويج ذو وجه باهت يسترعى انتباهك كما لو كان قد برز من صورة لفنان عظيم وقد كان وجهه في حداثة سنه يشبه وجه بيرون وهو ذو خلاصة تشع من شخصيته المتألفة رصين التفكير واسع الاطلاع لا يمل قراءة وبحنا . وقد صور لنا حياة الكثيرين من أصحاب الشخصيات التاريخية ومسح عنها السحر الذي خلطته عليها التقاليد والآراء الشائعة . وفي مقدوره أن يصفى جوهر نفسه من الميول والاغراض ساعة يكتب وأن يهب نفسه لموضوعه متشبعاً بدقائق حياة من يكتب عنه وقد أجاد في وصفه بأنه يشبه أن يكون خادم الذي يكتب عنهم وزوجته وأمه وصفيه بل وضميره أيضا . ويكاد يكون قد تجسس عليه في فراشه وفي الحمام ساعة يفتسل . وفي مكتبه أو غرفة مجلسه أو غرفة عرشه صبحا وظهرا وإذا جن الليل . إنه يصور رجاله العظماء في الحقير التافه من شئونهم ولكنه لا يسلبهم عظمتهم بل يخلعها عليهم كاملة غير منقوصة . انه يرد رجاله الكاملين - من طراز السوبرمان - الى مصاف العاديين ولكنه لا ييخل عليهم بمجدهم كل مجدهم « هذه صورة مصفرة لاميل لودويج الذي تحدث عنه أوروبا جميعها بل وأمريكا فمن قادح أو مادح ومن ملتمز جانب الحياء أراء كتابه المسمى : « ابن الانسان » Son of Man والذي صور فيه حياة المسيح على اعتبار أنه انسان لا إله ولا « من روح الله »

ميراثنا عن داروين

عن الاستاذ آرثر طومسون

بقلم الارباب احمد افندى هبرى سمير

ربما راح بعض الناس يظنون أنهم ليسوا بدينين لداروين بأي شيء على الإطلاق . لكن هذا مستحيل مالم يكونوا قد ألغوا عقولهم وكفوا عن كل تفكير . فحتى اذا كانوا قد اختبل فهمهم وعقم ادراكهم الى حد الاعتقاد بأنه لم يكن ثمة نشوء وارتقاء في العضويات قط . فأنهم مدينون لاقتناع داروين الصادر عن روية واثانة بضرورة تحصين أنفسهم وراء متاريس يتطلب تشييدها شيئاً من الحذق ويتطلب فوق الحذق شجاعة . وفي الحق أننا مدينون لخصومنا بشيء ما .

إذا سأل سائل : « كيف صارت الخلوقات الحية التي نعرفها الى الحال التي هي عليها الآن ؟! » . ألقينا أنفسنا أول الامر بازاء أمرين لا معدى لنا عن الاخذ بأحدهما

فلتأمل أن يقول : هذا سؤال لا يمكن الاجابة عليه علمياً . إن عالم الحياة جد غريب تكتنفه الاسرار من سائر نواحيه وشتى جهاته بحيث لا يمكننا الوقوف على جليلة الامر فيه بالطرق العلمية .

لقد طالما تراءت هذه المعضلة كأنما في المقدور ارجلة الرأي فيها . ولكنها تكاد تدخل في جملة المتقدمات اليقينية التي تتأبى على النظر . والتي تضرب بينها وبين العقول حجاب صفيق .

إن القضايا الوحيدة التي تبقى بلا حل في هذه الطبيعة هي التي لا تطبق عليها الطرق العلمية — مثال ذلك قضايا بدء الحياة ومنتهاها والقصد منها . ولكن العلم يمكن تطبيقه على مسألة أصل النباتات والحيوانات الموجودة الآن . وهذا هو ما أقام داروين الحجة عايه وأدلى فيه بالدليل القاطع .

النظرية الوحيدة القائمة

وإذن لو أننا قررنا عند مفترق الطرق أن التفكير على النمط العلمي في نشوء

وتقدم النباتات والحيوانات بجدي ويفيد . تعنى علينا أن نسأل : ماهى النظريات العلمية القائمة فى هذا الصدد وذلك الميدان النشئ . والجواب على هذا السؤال هو أن نظرية داروين العامة فى نشوء وارتقاء العضويات هى النظرية العلمية الوحيدة الجديرة بالنظر والاعتبار .

إنها نظرية وصفية تبسط لنا الطريقة التى صارت بها المخلوقات الحية الى ماهى عليه الآن — أى بطرق طبيعية أحدثت فيها تغييرات تماثل تلك التى بواسطتها نشأت حيواناتنا المستأنسة ونباتاتنا التى نزرعها فى أصولها المستوحشة أى التى كانت تنمو وتعيش فى الطبيعة .

التطور العضوى عملية طبيعية لغير جنسى Reial change فى اتجاه معين تحدث خلالها تغيرات أو انحرافات جديدة موروثة ومهذبة تؤدى الى نشوء أنواع جديدة قد تحل محلا أو تعيش جنبا إلى جنب مع النوع الاصلى الذى تولدت منه وعلى مقتضى نظرية التطور فى صورتها العامة يكون الحاضر وليد الماضى ووالد المستقبل .

واذا لم تكن الطيور قد تولدت فى الزواحف التى تربطها بها صلات عديدة فمن أين جاءت؟! وإذا لم يكن الحصان الحالى قد تولد فى نوع الخيول المنقرض ذى الثلاثة حوافر والذى توجد منه متحجرات كثيرة فمن أين جاء؟! ان الجواب النشئ هو الجواب العلمى الوحيد الموجود فى هذا الصدد . وهو الجواب الذى أدلى به دارون .

ان بعض الذين ينكرون أى فضل لداروين عليهم ، يفزعون من الوصف الذى تقدمه العلوم الطبيعية عن الكيفية التى صارت بها الاحياء الى ماهى عليه الآن . لانهم يظنون أن هذا الوصف يستثنى الله ويستبعده ويتركه جانبا ولكن العالم النشئ ما يزال الباب مفتوحا أمامه حينما ينتقل من البحث العلمى أى المنازع الدينية والفلسفية لان يعتقد أن وراء جميع العمليات الطبيعية يوجد فكر وقصد آلهين هما ارادة الله وقدرته . ولكن تلك حقيقة بعيدة عن متناول العلم .

عوامل داروين

ان بعض الذين تقدموا داروين لم يذهبوا الى أبعد من الفكرة العامة — فكرة التغييرات المتتابعة التي تطرأ على الانواع . والحيوانات الفقارية نشأت من الحيوانات اللافتارية . وذوات الحياتين (الامفيبيا) نشأت في الاسماك . والطيور وذوات الثدي نشأت في صنوف معينة من الزواحف انقرضت . وهلم جرا . ولكن لم يتقدم أحد أول الامر بنظرية عن العوامل التي تسبب هذا التطور . واذن ثانی الخدمات العظيمة التي جباها داروين هي تقديمه بنظرية روى فيها الفكرة وأمعن النظر في العوامل التي تسبب عنها النشوء والارتقاء . ولم يكن حشده البينات عن النشوء والارتقاء هو الذي فاز باقناع أغلب المتنازعين المتنافسين من أهل الاستنارة والفكر . بل هو تفسيره المسهب عن « كيف » حدثت هذه العملية السامية .

لقد أضاف داروين النظرية الوصفية للنشوء والارتقاء التي هي في حد ذاتها حقيقة ثابتة ، نظرية مستفيضة عن العوامل . فأظهر كيف أن ما نشاهده اليوم في عمليات التغير والوراثة والانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي وما شاكل ذلك . تقدم لنا الدليل على عمليات مشابهة مماثلة لا بد من أن تكون قد حدثت في الماضي .

التغير والوراثة والتهذيب والانتخاب .. تلك الكلمات الأساسية التي تدور حولها النظرية الدروينية في معناها الحاضر . وأن الظن بأن دارون قال الكلمة الأخيرة في عوامل التطور العضوي أن الافتراض تنافي حقائق النشوء والارتقاء منافية تامة . ان نظرية النشوء والارتقاء تتطرد في الزيادة والنمو وهناك اختلاف كبير في الرأي بين علماء التاريخ الطبيعي في الوقت الحاضر بشأن أهمية العوامل المختلفة التي اهتدى اليها دارون وكشف عنها . وليس في ههنا مناقشة هذه الاختلافات في الرأي لأنها خارجة عن موضوع مقالنا هذا . ولكننا نريد توضيح نقطتين فقط . أولهما : أن دارون وضع نظرية متمسكة معقولة في العوامل التي تعمل في التطور العضوي — نظرية اعتبرها علماء التاريخ الطبيعي فرضاً صحيحاً لدى تطبيقه من هكسلي وهوكر الى السير راي لانكستر الذي مازال حياً

مكباً على البحث. وثانياً، انه بينما نعلم من التغيرات والانتخاب كثيراً مما كان محجوباً عن دارون. فانه هو أول الدليل القاطع على أن تلك الظواهر الأساسية في الحياة يمكن بحشها بالطرق العلمية.

مكان الانسان في الطبيعة

وقالت الخدمات العظيمة التي حباها به دارون. هي وضعنا في مكاننا ككائنات حية متسعة مع بقية المخلوقات. فلقد كان كتاب تسلسل الانسان نتيجة منطقية وذيل معقول لكتاب « أصل الانواع ». والانسان بكل ما يميزه ويقفه في عزلة تامة عن سائر المخلوقات. وأحد أفراد نوع مشترك بينه وبين القرود الشبيهة بالانسان انما كان الانسان تاج الخليقة بما يميزه في عقل ولغة وبكونه مخلوقاً اجتماعياً يسير وفق قانون أدبي أخلاقي يعي ماضيه ويهيمن على مستقبله عن تدبير وبصيرة وإدراك. ويشيد ميراثاً خارجياً مستقلاً عن كيانه الهیولیة Germ-plasm ولكن دارون أقام الدليل بلا رحمة على انتسابه الى نوع سيميانى Simian فطرى غامض تفرعت منه منذ مليونى عام تقريباً القرود الشبيهة بالانسان واتجهت اتجاهها معيناً بينا اتجه الانسان أو الهومينويد Homonoids فى اتجاه آخر

لقد أعطانا دارون صورة مقنعة لعالم فى النباتات والحيوانات أبداً يتطور وابتكر نظرية جديدة معقولة للعوامل التى تعمل فى التطور العضوى. وأظهر لنا بصورة حاسمة الصحرة التى نحتنا واقتطعنا منها والحفرة التى انتشلنا فى أعماقها ولكنه انما فعل ذلك ليتركنا وقد أوسعنا تشجيعاً فبأى شيء غير هذا نحن مدينون لدارون

الابحاث التى تولدت عن مذهب دارون

لقد علم دارون الامم أن تفكر فى كل شيء على قاعدة النشوء والارتقاء. وتلك رابع خدماته التى حباها بها. فلقد أظهر كيف أن المفتاح النشوئى يوافق جميع الابواب مهما تباينت — سواء أكانت بيولوجية أو بسلوكية أم كانت حيوانية أو انسانية قردية كانت أم كانت اجتماعية. وأقام الدليل على فائدة النظر الى صنوف الحقائق من ناحية النشوء والارتقاء

وليس كثيرا أن نقول إن العالم سلسلة من القواعد والمبادئ الجديدة للبحث
فقد تولدت كما يعرف كل إنسان من الدراوينية أبحاث كثيرة تمت إليها بصلة
القرابة والرحم مثل نشوء وارتقاء اللغات والنظم والفنون والعادات والاختلاق
وغير ذلك. مما لا حصر له . ولقد غرس داروين العادة النشوئية التي أصبحت اليوم
تلازم سائر مناحي تفكيرنا على الاغلب .

وبهذه الطريقة أحدث تأثيراً فذاً في الفكر البشرى. مثال ذلك كتابه المعروف
للقليلين والذي يسمى « تفسير الانفعالات » . فهذا الكتاب كان أساس علم
البيكولوجيا المقارن والبيكولوجيا التناسلية .

ومما يثير العجب العاجب أنك تلقى رجالاً ونساء مضطغنين على داروين
وينكرون أى صلة به بينما تراهم في الوقت نفسه نشوءيين إلى أبلغ حد في أبحاثهم
الاجتماعية أو البيكولوجية أو التاريخية أو الانثوية . ان وجهة النظر النشوئية
قد أصبحت عادة فكرية عالمية والفضل في ذلك راجع إلى داروين . وبالطبع
يجب ملاحظة ان هناك علماء أخذوا على عاتقهم تكملة عمل داروين كما انه قد جاء
قبله علماء اشتغلوا بذهب النشوء والارتقاء . وبالإضافة إلى هذا الاستمرار قد تم
نجاح لا يدحض في النظر إلى الأشياء بالطريقة النشوئية

عوالم جديدة

كثيراً ما كشف العلم عن عوالم جديدة خلال القرون المتعاقبة . فلقد كانت
دنيا جديدة . تلك التي كشفها جاليليو حينما تنازلت الأرض للشمس عن مكان
الشرف على اعتبار انها مركز نظامنا الشمسى . وبدأ الإنسان يعرف شيئاً من معنى
المجرة (درب التبانة) ولقد كشف نيوتن عن دنيا جديدة حينما وضع أعم قواعد
الطبيعة وربط التفاحة الهاوية بالقمر السائر

ولما لم يعد المجهر اعجوبة في نظر الناس اماط اللثام عن دنيا مستورة خفية
ولم يقتصر أمره على إظهار الغامض المعقد من الأمور . فجعل العادى أكثر جلاء
وأوضح معنى . كما كان الحال في استكشاف مالبيجي للشعريات ذلك الاستكشاف
الذي تم وأكمل استكشاف هارفي للدورة الدموية . ولكن اماط اللثام عن دنيا

جديدة غير منتظرة من الكائنات الحية الدقيقة . مثل الخنافس والبكنيريا الحيوانية
وعلى هذا النحو ننظر الى سياحة داروين فوق ظهر سفينة ييجل لسباحة
كولبوس سواء بسوء . حيث انه اكتشف دنيا جديدة . دنيا متطورة . وفي الحق
انه اكتشف جانباً رائعاً في جوانب عملية التطور . وبذلك انتقل نظر الانسان
الى العالم في حالة الجود الى حالة الحركة

نسيج الحياة

لكن هناك طريقة أخرى جعل داروين بها العالم شيئاً جديداً . فانه أظهر
أكثر من أى عالم آخر من علماء التاريخ الطبيعى صلة المخلوقات الحية بعضها ببعض
صلة وثيقة في نظام ما يظن بالحياة . فاننا مدينون له — وهذا هو الدين الخامس —
برؤية نسيج الحياة . فلتقطط لها صلة وثيقة بمحصول البرسيم ، ولأبى فصادة المائى
علاقة بتربية الاغنام . وم كانت هامة أبحاث داروين في تلقيح الازهار بواسطة
الحشرات وفي تكيف النباتات آكلات اللحوم التى تقلب ظهر المجن للحيوانات
بدرجة مذهشة وتسطو عليها فتفترسها .

ثم إنه أنفق لحظات حياته النفيسة فى اثبات أن ديدان الارض قد أخصبت
معظم الاراضى الصالحة للزراعة . وأثبت الاهمية العلمية لدراسة تأثير أصل الطيور
فى حياة النباتات والحيوانات . على أن أهم أعماله وأعظمها هو توضيحه البارع لما
للهذيب والانتخاب من أهمية عظمى . وبرهن على أنه ليس ثمة حيوان يعيش
ويموت لنفسه وحدها دون غيره . فالعصفور لا يستطيع الهبوط الى الارض دون
حدوث هزة فى دائرة فنيحة .

التهذيب والانتخاب

عند ما نقول نيوتن يكون الصدى الذهني (الجاذبية) وعند ما نقول باستير
يكون الصدى الذهني (الميكروبات) وعند ما نقول بيكارميل يكون الصدى
الذهني (الراديوم) وكذلك عند ما نقول داروين يكون الصدى الذهني
(الانتخاب) .

أما ديننا السادس لداروين فهو أنه في وقت واحد مع الفريد مارسل وكس

قد أكشف سر الطبيعة المكشوف ونعني به الانتخاب والتهديب . وهكذا هو صوت الطبيعة الذي سمعه داروين واضحا جليا . « النزاع ، الجهاد ، النزاع » لان التطور العضوي قصة تهذيب دقيقة قديمة العهد قصة عراك لا ينتهي بحيث تبرز سائر الكفايات الصالحة وتهدم الحياة بهزات الخراب لتعود في شكل جديد واى فائدة »

حياة نبيلة

ان الحاجة ماسة في عصرنا هذا عصر المجتمعات والرخاء الى اعتراف جديد بالدين الذي لداروين عندنا . وداروين الذي رأى في التطور العضوي شرحا بليغا على الموضوع الآتي . امتحن كل شيء واستبق الصالح . والدين السابع الذي لداروين عندنا هو نموذج حياته الفضيلة . فان قليلا من حياة العظماء كانت خالية خلوا تماما من الحماسة والضوالة . ومما لا ريب فيه انه كان يقطع النظر عن صحته سعيد الحظ من نواح كثيرة . وبذلك استباعد ان يكرس حياته ويقبل بكاياته على البحث دون ان يجد ما يشوش باله أو يلهيه لكن الشيء الذي يبرز في حياته واضح المعالم هي شغفه بالصدق . فلتقدم عمل بصبر ودأب وتواضع سعيا وراء الحقيقة - الحقيقة التي صنعت الشيء الكثير لتجعلنا أحرارا

في الاحاد والايمان

رد على كاتب

الى صاحب المصور

قرأت في المصدين الاخيرين من المصور حكائيتين الحاد لبندلي أفندي البيلوني رمى في الحكاية الاولى الى كشف القناع عن سبب الحاده. ورمى في الثانية الى تعريف الناس استعداداته لنشر هذا الاحاد. وكنت لا أخالفه رأيا لولا سبق وبين القصد من هذا الاحاد وعما اذا كان بالامكان الوصول الى هذا القصد لانه كما تعرفون ان تعشق المبادئ شيء وتطبيقها على الحياة العلمية شيء آخر. والاحاد ما خرج عن كونه مبدأ له ما لغيره من المبادئ حسنات وسيئات .

قبل ان ابتدء بانتقاد هاتين الحكائيتين وقبل ان ترسم صورة شخصيتين الاولى والدائمة في مخيلة البيلوني أفندي أقول — إني بعد كل اختباري الطويل عرفت — لا أقول اعتقدت — ان الكائنات موحدة الاصل وان كل مانراه من الصور المتغيرة على سطح هذه الكرة يرجع لنظام التفرع وروح الزمان. وان كل الموجودات تعرف بالنسبة وان لشيء حقيقى. وان الانسان مظهر من مظاهر الطبيعة المعقدة تجري عليه سنة الكون التي لا تتجزأ ويسود عليه طبقة من العوامل تكونت بمقتضى الضرورات الطبيعية والاحتياج المتتابع وان عصرنا هذا في جغرافية — التطور البشرى — عصر المشاعر وهو أول درجة في سلم التفكير والتعقل —

فمن هذا يعرف انى لست ملحدأأعتقد بعدم وجود خالق حكيم يدبر الكائنات ولا دينأأعتقد بوجود هذا الخالق بل عارفا كيفية نشأت الكون وتفرعه . والاعتقاد شيء والمعرفة شيء آخر .

إن مصيبتنا الكبرى في هذه الايام انتشار زبدة علوم تفسرها من ذوى بعض العقول . . . تفسيراً معوجاً ويخالف من هذا التفسير معتقداً جديداً يطرح في بحر هذه المعتقدات. ويزيد تبليها كأن ما يوجد من الاختلافات والشرور من جراء اختلاف المعتقدات لا يكفى بل نحن دائماً في حاجة لزيادة تماسك أكثر .

أنى لأعتبر الاتحاد مع ما فيه الصوابية الا معتقدا له من السنن والنواميس
 ما لغيره من المعتقدات. وهو لا يشفى غليل الانسان ولا يرد اليه طمأنينته ولا يبطل
 الحروب ولا يذهب بالشرور ولا يبدل حالة الانسان من تشاؤم وتفاؤل. ولا كما
 يقول البيروني افندى يقتل روح التعصب ولا يتساهل عند ما يأخذ صفة الاجماع
 ولا يحجم عن قتل مخالفه عندما تسنح له الفرصة - هو معتقد - روح المعتقدات
 واحد - وما يسيطر على هذا المعتقد يسيطر على ذلك ولن نرى غير هذا في هذا
 العصر. والذي سيأتى بعده لان الانسان مازال ضمن دائرة الحياة الشمورية -

من هذه الوجهة فقط انتقد فكرة الاتحاد لان محبذيه يجعلونها دائما - معرفة -
 ويوهمون الناس ان كل المفكرين يحبذونها ويستشهدون بما كتب دارون وسبنسر
 عن النشوء والارتقاء وما كتب هيكل وغيره من زعماء المادية عن وحدة الكون
 مع ان أولئك عرفوا شيئا وهؤلاء اعتمدوا والفرق بين المعرفة والاعتقاد كبير حتى
 انه أكثر نسبة من لانهاية القضاء الى هذه الكرة الصغيرة .

وأیضا ليس هذا فقط بل ان تمجيدهم دائما فضائل الاتحاد قد جعل البعض
 يتساءلون عما اذا كانت الاديان السائرة قد سهت عن وضع مثل تلك الفضائل
 مع ان الفرق بين فضائل الاديان السابقة وهذا الدين الجديد لا يذكر. لان تعاليم
 الاديان السابقة حضت على التساهل والتسامح كما يبشرون به في هذا الدين الآن
 ولكن طبيعة الانسان أبت . كما ستأبى فيما لو ساد هذا أيضا . ذلك وحققا ان تأبى
 لان الطبيعة أعدل من الانسان نظاما انما بدون أوهام لا تقدر البشرية . ان
 تداوم البقاء وهذا التساهل وهذه الفضائل أوهام تستغوى الناس ولكن لا تدخل
 أبدا في حياتهم العملية .

يمكن ان تكون نسبة الفضائل في الاتحاد . أكثر مما هي في بقية الاديان ولكن
 هذا لا يقوم حجة على ضرورة نشره لان من الاديان السائدة ما تحتوى تعاليم
 سامية أكثر من غيرها. ومع كل ذلك لا تنتشر كثيرا وهذا يكفى لتبيين مركز
 الانسان في مطالبه وأعماله .

نم ولا يخفى على المفكر ان هذا الدين الجديد خطر من وجهة واحدة على الحياة

الاجتماعية. لانه يرمى الى تقوية الانانية الفردية عوضا عن تقوية الانانية الاجتماعية. فما يلقنه لتابعيه عدا عن مظهره الطبيعي يجعل الفرد لا يهتم الا لنفسه وهنا « مسئله فيها نظر » لانه لم نكن بهذه المدنية لولا الحياة الاجتماعية المرتكزة على الانانية الاجتماعية.

قبل ان اُختم كتابي هذه أوجه نظر الاستاذ صاحب العصور الى شدة احتياجنا في الشرق للفلسفة الايجابية philosophie positive لان تصنيف العلوم وحده يكفل لنا صفاء الفكر وعلان النتيجة المطابقة للواقع فمسي ان يقدم على ترجمتها قريبا.

بيروت

ابراهيم حداد

مِثَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ

مِراجِعَاتٌ وَمُخَيِّصٌ عَنْ أَهْلِ الْمَوْلَفَاتِ الْأَوْرُوبِيَّةِ

من قبل آدم

تأليف الكاتب المعروف جاك لندن الانجليزى

ظلت الفكرة الدينية القديمة ثابتة في عقول الناس منذ أن تحرك الفكر الانسانى لأول مرة ينظر في حقائق الاشياء ، حتى أوائل القرن التاسع عشر . فلما أن ارتكزت نظرية التطور الحديثة على أصولها العلمية ، بعد أن أصدر العلامة داروين كتابه أصل الانواع . وأشفعه بكتاب أصل الانسان ، انقلبت الفكرة في أصل الانسان . وأثمت الفكرة القديمة في آدم على اعتبار انه أول انسان هبط من الجنة الخلد الى الارض ، واعتقد العلماء أن الانسان حيوانى تطور على مدى الازمان ، ورضى أهل الدين بالقول بأن آدم هو أول حيوان ناطق كلف من قبل السماء بأن يتبع أمراً وأن يرضى خالقه . بأن يحترم نواهيه .

الكتاب موضوع في قالب قصص علمى يحملك على أن تحقق في قراءته وأن تكب عليه ، في حين أنك تقرأ شرح حقائق علمية تقوم عليها أعوص الابحاث في علم الحيوان والحياة وعلم النفس — أستغفر الله . بل النفسولوجيا على مذهب الاستاذ سلامه موسى — ولا تقتفى من قراءة الكتاب الا وتكون قد انطبعت في مخيلتك صورة واضحة من حياة الانسان في أوائل العصر الظرانى ، تجمع لديك فكرة عامة عن النظمات الفطرية التى تطورت عندها نظمات المدنية الحديثة . يبدأ المؤلف كلامه بشرح نظرية في الوراثة هى نظرية الرجعى Alavism

أو Reversion كما يدعونها اصطلاحاً ، غير أنه يضطر أن يطبق هذه النظرية ؛
ليستطيع أن يمضي في قصته العلمية على أساس ثابت ، على ظاهرة نفسية ، هي
ظاهرة الاحلام . فيصور لك بطل الرواية شاباً في عاصمة من عواصم المدينة ؛
انتابته أحلام مفرقة . إذ كان يخيّل اليه أنه انتقل الى عصر ما قبل التاريخ ،
او كما يقول العلماء العصر الشجري ، وهو عصر يسبق العصر الحجري عند ما بدأ
الانسان يتطور عن الحيوان الاول الذي يعد حلقة تربط بين أحط السلالات
البشرية الموجودة الآن وبين القروء العليا . ويرى فيما يرى النائم أنه استلقى على
ظهره في عش صنع في ملتف من أغصان شجرة كبيرة . وأن أباه وأمه كانا يتسلقان
اليه أغصان الشجرة بمهارة ولباقة . ليأتياه بما يحتاج اليه من طعام . حتى اذا كبر
واستطاع الحركة أخذوا يمرنانه على كيفية التسلق يوماً بعد يوم ، فاستطاع بعد أيام
عديدة أن يهبط الى الارض وأن يتسلق الى عشه بسهولة . وأخذ يجوب في الغابة
حول الشجرة التي كن فيها مهده الفطري ويلعب مع أمثاله من الاطفال . واذ
انفرد ذات يوم بنفسه يلعب ويمرح هاجمه نمر من النور القديمة ذوات الانياب
الحادة ؛ فاضطر أبوه أن يدافع عنه . فراح ضحية النمر وأصبح يتيماً . وكان عطف
أمه عليه كبيراً بعد أن فقدوا عائلتهما ، غير أن ضعفها كان سبباً في أن تكون موضع
الأذى في كثير من بقية أفراد السلالة ، فاضطرت أن تلجأ الى رجل غير أبيه
يحميها من الأذى والشر ، ولكن هذا أنزل به من الأذى بقدر ما دفع عن أمه
من العدوان ، حتى إذا كان اصيل يوم وقد قام بينه وبين زوج أمه خلاف ، ضرب به
الزوج الجديد ضرباً مبرحاً على مראي من أمه وهي لا تحرك ساكناً ولا تظهر عليه
عظفاً ، وكان قد كبر وتجهزت تقاطيع جسمه في قالب الفتوة واستبانته عضلاته ،
ففر من وجه أمه وبقى أياماً يأوي الى اغصان الاشجار ويتنقل من مكان الى مكان حتى بلغ
يوماً حدود الغابة . فاشرف على سهل كبير متسع رأى عنده سلالة أخرى من السلالات
البشرية تعيش في الكهوف وكانت ذات مهارة في تسلق الاشجار ، فتقدم اليهم
في حذر وتؤودة ، وكان من امره بعد ذلك أن اصطحب بهم وآوى الى كهف مع
شابين آخرين ، واخذ ثلاثهم يتعاونون على القيام بما تتطلب الحياة من واجبات

ولم يكن الناس في ذلك العهد بقادرين على التفاهم من طريق الكلام والنطق المعضل
ذى المقاطعة اللغوية . بل كان كل ما يتفاهمون به عبارة عن عدة اصوات يخرجون
واشارات يقوم بها الوجه واليدان ، وكانت كافية لان تسد حاجاتهم القليلة . ولم
يكونوا يميزوا بين الامراء باسماء كما تفعل الان ، بل كانوا يميزون بينهم باظهر صفة
يختص بها كل منهم ، بحيث تكون خارجة عن القياس ببعض الشيء .

وكان في هذه القبيلة الصغيرة رجل اختص بقسط من القوة البدنية والقسوة
احترمه كل رجال القبيلة ونساءها وشبانها . وكان يضرب زوجاته ضرباً مبرحاً
وربما قتل بعضهن ، فاذا اراد ان تكون له زوجة اخرى عمد الى زوجها فيقتله
ويغتصبها اغتصاباً . فتنقاد اليه صاغرة وكل افراد القبيلة ساكتين لا يستطيعون
أن يحركوا ساكناً أو يبدون اعتراضاً . وكان المتزوجون والمتزوجات اكثر
تعرضاً لاذاه من الشبان الذين لا يزالون بعيدين عن كسر الطبيعة . اذ تدعوهم الى
الزواج وحفظ النوع . وعرف هذا الرجل عند افراد القبيلة بانه ذو العين الحمراء ،
شدة بطشه وقوة مراسه

وخرج بطل قصتنا ذات يوم مع رفيقه الى غابة قريبة يرحلون ويلعبون . وقد
تسلقوا اغصان الاشجار الباسقة ، وفيما هم على لهوهم هذا مر بالقرب منهم شيء
اخرق الفضاء وهو يؤزأز يزأشديداً ، ثم تلاه آخر واذا باحدهم يرسل صوت استغاثة
والم وهوى من أعلى الشجرة الى الارض ، فلما أن بلغها رأى رفيقاه رجلاً عجوزاً
في يده قوس وسهم ، ومن حوله بضعة رجال أخذوا يحطمون رأس الرفيق الناعس
الحظ بالاحجار ، ففر البطل ورفيقه الى شجرة ملتفة الاغصان كثيفة الاوراق
ليتقيا سهم ذلك الصياد الماهر . وقضيا ليلتهما في خوف مستمر بين زئير الاسود
والتمور ، فاذا تنفس الصبح واشرقت الشمس . نزلا ليفوزا بالفرار الى كهفيهما
وما كادا يخرجان الى حدود الغابة حتى مر بينهما سهم ارسله عليهم الصياد المعجوز
فلم يصبهما . ولكن سهماً آخر استقر في فخذ رفيق بطلنا . فوقع على الارض مستغيثاً
وهنا ادركت البطل صفة انسانية هي صفة التضحية الاخوية غارت الى أخيه
على الرغم من الخطر الشديد الذي كان يحف بهما ، وأخذ يعالج السهم حتى انتزعه

وكان الصيادون يجدون في اقتفاء أثرها ، فأطلقا ساقيهما للريح حتى بلغا الكهف
سالمين . وهنا يريد الكاتب أن يفرق ثلاث سلالات بشرية لكل منها صفاتها
الخاصة بها . فالأولى تسكن الغابات وتبنى العشوش في الاشجار . والثانية تعيش في
الكهوف . ولكنها تستطيع أن تتسلق الاشجار ، والثالثة تعيش على الارض وتعرف
استعمال القوس والهمزة ، فاستطاعت بذلك أن تتغلب على غيرها من السلالات
البشرية ، وان أثر هذا التطور قد ظهر فيما بعد في غيرها من السلالات . فمنها
ما عكف على الصيد البحري . ومنها ما عكف على الزراعة في آخر صورة تقلب فيها
تطور الجماعات الانسانية ، وهنا بدأ ما نسميه المدنية ، لانها مشروطة على الاستقرار
في مكان . وقيام مدن أو قرى يعمل أهلها على الدفاع عنها ، دفاع أهل الكهوف عن
كهوفهم وأهل الصيد عن قراهم التي كانوا يبنونها من الاغصان والاوراق .

وبينا كان بطلنا ورفيقه على شاطئ النهر القريب من كهوف قبيلتهم يشربان
حمل البطل جذع شجرة والقاه في الماء وركب فوقه وهو بعد متشبث ببعض أعشاب
الشاطئ . وأخذ رفيقه في مداعبه يدفع جذع الشجرة الى غمر الماء حتى أفات الفرع
من يد البطل وجذبه التيار الى عرض النهر . فاستغاث ولا مغيث . واستجار ولا
مجير . وحمله الجزع يجري به التيار بالقرب من الشاطئ ورفيقه عليه مشفق راغب
في انقاذه ، يسير الجذع على الشاطئ ، حتى اذا فتقت الحيلة لرفيقه طريقا للخلاص
وأخذ يضرب الماء بيديه ليدفع بالجذع نحو الشاطئ . فكر رفيقه في أن يمد له عودا
من الخشب يتشبث به ويجذبه به نحو البر . وهكذا أنقذ الرفيق رفيقه . غير أن
هذا كان استكشافا جديدا . اذ عرف الانسان كيف يستطيع أن يذال سطح الماء
ويعبث بامواجها .

وأخذ الرفيقان يقومان كل يوم بنزهتهما البحرية . حتى اذا كان ذات يوم وقد
هبت الرياح وعلت الامواج واشتد التيار وتمذر عليهما مقاومته . رمت بهما المقادير
على شاطئ معشوشب خصيب تقوم عنده غابة كثيفة ، ولم يكادا يستقران على
الشاطئ حتى عمدا الى الاشجار يتسلقانهما . وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب

فارتقيا زروة شجرة عالية. ملتفة الاغصان . وباتا لياتهما يحتضن أحدهما الآخر طلباً للدفء والاطمئنان .

فإذا كان منتصف الليل والوحوش سارحة في جوف الغابة تطلب فرأسها، سمعا تحت الشجرة التي كانا يأويان اليها حركة غير عادية ، وإذا برجل يكب على قدح زناد يشعل هشيماً يابساً ، ولم يكونا قد رأيا نارا قبل الآن ، وأخذ الرجال يجمعون الحطب والنساء تزيد بها النار اتقادا . ففرغت الوحوش من مرآى النار المندلعة في جوف الغابة الساكنة الهادئة ، وأخذوا جميعاً يصطلون ، فإذا ناموا قام أحدهم بالحراسة يزود النار بالوقود .

وعند تنفس الصبح جمع هؤلاء حكامهم وسهامهم وأقواسهم . وأخذوا يتغفلون في حوف الغابة ، حتى إذا اختفت آثارهم نزل بطلنا ورفيقه الى النار يزيدونها بالوقود التهاها . ويقفون اليها بالاغصان اليابسة بغير حساب . فالتقت وامتدت الى الاشجار الكثيرة تأكلها أكلا وتحطمها تحطيماً ، ففرعا كل فرع وعمدا الى الهرب ويمتا نحو السهل المنبسط عند آخر الغابة .

وبينما هما في هربهما مجدين . وقع نظرها على فتاة بشرية لم تقع عينهما بعد على مثلها جمالا . فكانت أعلى جبهة وأوسع عيناً وأقل شعراً ، وأكثر استقامة لدى المشى . فتحركت في نفس البطل الميول الجنسية . وأخذ يتتبعها حتى ظفر بها ورضيت به واقتادها الى كهفه الصغير . ليعيشا معاً في حياة زوجية . واختص هو بالكهف دون رفيقه الذي قام على حراسة مدخله ، كما صنع هو مع رفيقه عند ما تزوج ، ثم عاد الى معاشته بعد ان ماتت زوجته .

وفيما هما قادمان ذات يوم الى مقر القبيلة علا الصياح وكثر النواح من جانب النساء ، وأخذ الرجال يدقون بأيديهم على صدورهم علامة على الغضب . تقاد نيران الحرب . وإذا بنمر كبير مفترس أخذ يهاجم أهل القبيلة ليفوز منهم بفريسة يتبلغ بها . واجتمع عليه أهل القبيلة ، الرجال في الصف الاول والنساء في الصف الثاني . يزودونهم بالاحجار الثقيلة يقدفونها عليه ، فلم يستطع أمام الجهد المشترك أن ينال منهم منالا . وارتد الى الغابة مثخناً بالجراح .

في هذه الحادثة تفسير لمذهب كروبو تكن في التعاضد المتبادل بين السلالات،
وان التناحر على البقاء انما يقع بين الافراد و بين السلالات المتباينة في النوع الواحد.
ولكن التعاضد يقع بين السلالات في رفع اذى السلالات الاخرى . وكانت هذه
الظاهرة الاجتماعية أقوى من سلالات النوع البشرى منها بين بقية السلالات .
ووقعت في النهاية الطامة الكبرى . فقد هاجمت سلالة من القناص الذين
يستعملون القوس والسهم مقر القبيلة فقتلت من قتلت منهم ، وفر الباقون . وكان
البطل ممن فروا ، فعاش دروجه زماناً من جرف غابة من الغابات . حتى اذا الف
قبيلة أخرى أخذ يتعلم منها كيف يوقد النار . وكيف يستعمل القوس والسهم ،
وأخذ يختطف جراء الكلاب البرية من أوكارها تسليمة به ولاولاده الصغار ،
فأنس منهم من أنس وقتل من لم يأنس ، وكان هذا مبدءاً تذليل الانسان للحيوان .
وسواء أظهر عند هذا الطور الارتقائي من آدم أم لم يظهر . فليس ذلك بذي شأن
في بحثنا هذا . بل ان الكاتب لم يقصد الا الى تصوير ظواهرات الحياة الانسانية
في حالاتها النظرية الاولى

انتاج وتجارة البيض

لواهتم المصريون بانتاج البيض ونظموا طرق تجارته لنالوا من وراء ذلك ارباحا كثيرة . ولأجل تحسين الانتاج . يجب على وزارة الزراعة توزيع السلالات الاكثر ملائمة لجو القطر على المزارعين وإمدادهم أكبر كمية من البيض الحسن النوع والمطلوب في الاسواق المستهلكة له . وهذه العملية نظريات علمية متبعة في كثير من البلاد الزراعية

وانى سأتكلم اليوم عن موضوع الاتجار بالبيض وكيف يمكن للمزارع جنى الارباح المعقولة منه . فاولا يلاحظ ان الفلاح يبيع محصول دجاجة الى تجار القرى المحلية الذين يجمعونه لتجار الجملة المصدرين بارخص ثمن . لانه يبيع كميات قليلة بين وقت وآخر ظانا ان أى مبلغ يدفع عنه يعتبر كما لو كان أتاها من غير جهد . مع ان أرباح هذا الصنف كبيرة بالنسبة الى غيرها من المحاصيل الزراعية . وتعود تجارب بفوائد جمة على صغار المزارعين بوجه خاص . فقد يربحون منه أضعاف ربهم الحاضر ولكي تعود تجارة البيض بأرباح حسنة . يجب ارساله الى السوق طازجا من أجل الاستهلاك . ولا يتيسر ذلك الا اذا كانت الكميات كبيرة . والا اذا بعد الوسطاء الذين يعملون لأجل الكسب وبالفعل يخنون لانفسهم جل الربح

والحل الوحيد الى الوصول الى هذه الغاية . هو تعاون منتجي البيض مع بعضهم لبيعه معا . ولا يتم ذلك الا بإنشاء جمعية تعاونية لتصرفه . ويكون الفرض من هذه الجمعية بيع محصول البيض على حسابها والعمل على اصلاح طريقة انتاجه باستجلاب الانواع الجيدة من الدواجن ومنع الطيور الكبيرة السن من ان تبيض وذلك اما بذبحها أو بتخصيصها لعملية الرقاد

فالجمعية تشتري السلالات الجيدة من الدجاج وتوزعها بسعر الشراء على أعضائها مشرطة ان تربط برجل كل دجاجة شريطا يدل لونه على سنّها . حتى اذا ما بلغت الدجاجة أربع سنوات عدت غير صالحة لانتاج البيض فتذبح مثلا

كذلك تعمل الجمعية المذكورة على إيقاف أعضائها على أحدث طرق التغذية والأيواء ودفع الأمراض

ولا تحتاج هذه الجمعيات الى رأس مال كبير. فقيمة السهم فيها يتراوح عادة بين عشرة قرش وجنيها واحدا مع مسئولية متفاوت بين ٥٠ قرشا و ٢٥٠ قرشا كذلك يأخذون رسم دخول ممن ينتمى اليها يتفاوت بين ٥ و ١٥ قرش ولاجل أن تفلح الجمعية . يجب ان تكون قادرة على جمع حوالى ٥٠٠ بيضة على الاقل من أعضائها فى الاسبوع. ويستحسن ان تكون منطقة أعمال كل جمعية صغيرة المساحة . لانه يتوقف على ذلك طزاجة البيض وسرعة جمعه

ويجمع البيض من الاعضاء دفعة أو دفعتين كل اسبوع . فينبه على الاعضاء بارسال محصولهم منه الى مكان معين ليأخذها الشخص الموكل بالجمع . ويجب على كل شخص أن يختم البيض الذى يقدمه للجمعية بختم عليه رقم عضويته . فلما يستلم مندوب الجمعية ما يورده العضو . يزنه ويقيده فى دفتر العضو وزن البيض المقدم . لاعدده (لان البيض ينفات فى الحجم) وكذلك يرصد الوزن فى الدفتر الخاص بالجمعية أمام اسم العضو . وعند ما ينتهى من عملية الجمع يختم البيض بختم الجمعية الخاص ايضا . وفيه التاريخ . وبعد ذلك تفحص كل بيضة على المصباح الفاحص للتثبت من طزاجته . فاذا وجدت بيضة غير طازجة ردت الى صاحبها وضربت عليه غرامة مقدارها قرش أو نصف قرش على البيضة الفاسدة

ثم يوضع البيض فى صناديق من الورق المقوى بالدرجة أو بأضعافها . وهذه ترسل الى الزبائن فى منازلهم أو الى المطاعم . وأما البيض المطلوب تصديره فيوضع فى سلال متشابكة الهيكل كل مائة أو مضاعفاتهما سلة واحدة . ويستحسن أن لا تزيد محتويات السلة الواحدة مهما كانت الحال عن خمسمائة بيضة حتى لا يتكسر البيض من الضغط .

فاذا انتظمت عملية توريد البيض الطازج . يمكن إيجاد أسواق لاستهلاكه مع وجوب ملاحظة منع كل سبب للشكوى وتلافي ما يدعو الى ذلك .

وتجرى الجمعية محاسبة أعضائها شهرياً على أساس وزن ما وردوه لها كلاً

منهم . وذلك بعد خصم المصاريف النثرية الناتجة من عمليات الجمع والتوزيع .
وبعد الاحتفاظ أيضا على نسبة جزئية من ثمن البيع لا يجاء احتياطي لدفع الطوارئ
التي قد تواجهها الجمعية

ويعطى للشخص الذي يجمع البيض عمولة عن كل الف واحدة ، وتبلغ هذه
العمولة في المتوسط عشرة قروش ، هذا اذا قام بعملية الفرز أيضا ، والا فيعطى
خمسة قروش فقط على كل الف بيضة يجمعها

ومن صالح هذه الجمعيات ان تتحد بدورها معا . فتكون اتحاداً يمدّها
بالصناديق وبالاختام والمصابيح الفاحصة . ومن عمل هذا الاتحاد التصدير الذي
يأخذ عنه عمولة مقدارها ٥ في المائة . وكذلك من عمله البحث عن طرق استهلاك
المحصول والاشراف على عملية التوزيع . واليه ترسل الطلبات من المستهلكين
وهو يحولها على أقرب جمعية لارسال المطلوب
اقتصادي

فهرست

ص	
١١٦٩	حرية الفكر اسماعيل مظهر
١١٧١	الليلة الاخيرة — قصيدة حسن كامل الصيرفي
١١٨٤	مذكرات (أنا)
١١٨٩	الاصلاح الاجتماعى عمر غنايت
١١٩٣	القضية المصرية : في طورها الاخير بوليطيقوس
١٢٠٠	نظرية الغدد وتجديد الشباب
١٢٠٥	العاصفة — قصة قصيرة منير الحسامي
١٢٠٩	الثورة — بحث اجتماعى ع.ع.
١٢١٣	لوجية الطفرات لاديب مبركر
١٢١٤	تأملات في الادب والحياة فيلوبونس
١٢٢٠	الزولوجيا — أو مبادئ علم الحيوان
١٢٢٤	الذكرى — من قصيدة غنائية لابي شادي
١٢٢٥	الصدى ونرجس — أسطورة
١٢٢٨	مبادئ الفلسفة الحديثة — البيئة أو المحيط فيلوزوف
١٢٣٥	الصلح الاكبر — ليونيداس أوزاكي
١٢٣٧	الجامعة الازهرية — لصاحب الفضيلة أزهرى حر الفكر
١٢٤٥	النقد والتأليف — تاريخ سوريا ولبنان والتعليق عليه
١٢٥٢	حنين بن اسحاق — حياته وأعماله عن بحث للدكتور مايرهوف
١٢٦٢	الموقف السياسى. اما تحكيم الاغلبية واما الغاء الدستور بوليطيقوس
١٢٧٢	شريد ايطالى، يصبح ملكا
١٢٧٥	أميل لودويج — صورة
١٢٧٧	ميراثنا عن داروين — عن طومسون أحمد خيرى سعيد
١٢٨٤	في الاتحاد والايمان - رد على كاتب ابراهيم الحداد
١٢٨٧	نمار الفكر الغربى - من قبل آدم - عن جاك لندن
١٢٩٣	انتاج وتجارة البيض